النزغات الشيطانية في مسرح "إليخاندرو كاسونا"

قراءة في مسرحيتي " مركب بلا صياد " و " الشيطان مرة أخرى".

أ.م.د/ شرين جلال محمد أحمد الطنطاوي

أستاذ المسرح المساعد بقسم الإعلام التربوى

كلية التربية النوعية – جامعة طنطا

المستخلص:

تهدف الدراسة إلى التعرف على النزغات الشيطانية في مسرح إليخاندرو كاسونا، ذلك لأن الشيطان كان ولا زال الشغل الشاغل للإنسان طوال رحلته في الحياة وحتى نهايتها فنزغاته لبني البشر لا تخمد ولا تفتر أبدا، بعدما قطع على نفسه العهود والمواثيق أن يهلك البشر بالمعاصي والآثام، وقد اتخذ من النزغات سلاحا مشرعا في وجهه ليرديه عن سواء السبيل، وقد استلهم كثير من الكتاب والأدباء الغربيين والعرب صورة الشيطان ونزغاته في كثير من إبداعاتهم، ذلك أنه مادة خصبة لتجلية الصراع في العمل الأدبي بما يعطيه من مساحة للصراع بين الخير والشر فساعدهم في بلورة العديد من القضايا والأفكار على اختلاف أنواعها واتجاهاتها. وبالرغم من تناول العديد من الكتاب الغربيين للشيطان في أعمالهم إلا أن الكاتب الإسباني إليخاندرو كاسونا يعد من أبرز الكتاب الغربيين الذين تناولوا الشيطان من منظور قارب وبشدة الفكر الإسلامي في أعماله.

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج البنيوي منهجا لتحليل النص المسرحي

وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج أهمها هي :

- اعتمد الكاتب في تجسيد صورة الشيطان في المسرحيتين على نوعين من النزغات هما النزغات المباشرة و هي التي تتسق فيها إرادة الإنسان وهواه مع وسوسة الشيطان فيأتي عملا منكرا يجر الشر عليه وعلى من كاده وقصده بالشره فتخرج لنا في صورة جرائم حسية منكرة تروع الناس من هولها، أما النزغات الغير مباشرة فتتسق فيها أهواء ورغبات النفس الشريرة مع نزغات الشيطان في هدف واحد وهو إلحاق الأذى بالغير لكن النفس

الشريرة هذه لعجزها عن الإتيان بفعل يهدأ نارها تكتفي بأن تضمر الشر والكراهية لمن تكرهه .

- ارتكز كاسونا في رسمه لمظاهر النزغات الشيطانية في مسرحيتيه على تجلية كثير من مسالب النفس الإنسانية لتلبسها بعدة جرائم متمثلة في سفك الدماء بغير حق وشهوة الملك والخلود وفتنة النفس بالمال والغضب والعصبية الباطلة والكبر والغرور وكذلك غواية المرأة والصحبة السيئة .
- إن كاسونا قد استلهم القيم الإيمانية ببراعة فائقة في مسرحيتيه فخرجا عملا فنيا امتاز بدقة فنية مع تصور شمولي إيماني للحياة، فكل القيم التي قدمها تنبثق إلى حد كبير عن العالم خرجت من التصور الإسلامي للحياة، ومن أهم هذه القيم التي جلاها لنا قيم الحب والعفو والمسامحة والعفة وهم المحاور التي من أجلهم أنشأ مسرحيتيه ليؤكد أن القيم الإيمانية هي دعائم الحياة، فمسرح كاسونا قائم على رفض كل القيم السلبية كالحقد والحسد والنفاق، فالحب دائما ممكن في مسرحة فلا هو شهوانيا على طريقة مسرح إنكلان ولا تراجيديا على طريقة جارثيا لوركا، فهو كاتب مؤمن بالقيم الإيمانية والخير في حياة الإنسان يشع تفاؤل بحتمية الخير الذي يهدي للسعادة .

Demonic instincts at the Alejandro Casona Theatre Reading in my plays "A Boat Without a Fisherman" and "The Devil Again."

Abstract:

The study aims to identify the demonic tendencies in the theater of Alejandro Casona.

This is because Satan was and still is the preoccupation of man throughout his journey in life and to the end of it, so his temptations for humankind never subside and never fade, after he made covenants and covenants upon himself to destroy human beings with disobedience and sins. Many writers, Western and Arab writers, were inspired by the image of Satan and his temptations in many of their creations, as it is a fertile material for the manifestation of conflict in literary work, as it gives it space for conflict between good and evil, and helped them in crystallizing many issues and ideas of different types and directions. Although many Western writers dealt with Satan in their works, the Spanish writer Alejandro Casona is one of the most prominent Western writers who dealt with Satan from the perspective of a boat and strongly Islamic thought in his works.

The study relied on the structural approach as a method for analyzing theatrical text

The study reached several results, the most important of which are:
In embodying the image of Satan in the two plays, the writer relied on two types of temptations
They are the direct impulses in which the human will and his whims are consistent with the whispers of Satan, so a reprehensible act that brings evil to him and to those who almost and intended him with evil comes out to us in the form of reprehensible sensory crimes that frighten people from its horror. With one goal, which is to harm others, but this evil soul, due to its inability to do something that calms its fire, is content with harboring evil and hatred for those it hates.
In his drawing of the manifestations of demonic inclinations in his two plays, Casuna relied on the manifestation of many of the defects of the human soul to be clothed with several crimes represented in unlawful bloodshed, lust for kingship and immortality, sedition of the soul with money, anger, false fanaticism, arrogance and vanity, as well as the seduction of women and bad company.
Kasuna was inspired by the faith values with great skill in his two plays, so they produced a work of art characterized by artistic accuracy with a holistic conception of faith in life. Chastity and chastity are the axes for which he created his two plays to confirm that faith values are the pillars of life. Casuna theater is based on rejecting all negative values such as hatred, envy and hypocrisy. Love is always possible in a drama. Faith and goodness in human life radiates optimism about the inevitability of goodness that leads to happiness.

المقدمة :

إن الصراع الأزلي الأعظم في حيوات البشر والذي غفل عنه كثير من الناس هو في جوهره صراع بين قوى النور والظلام، فآدم – عليه السلام – أكتسب مجبرا هذا الإرث ونقله مكرها لذريته حتى قيام الساعة .

وأي قوة للشر في الكون تطاول الشيطان ذلك الذي تحدى الله – سبحانه – في علاه وعصى أمره بالسجود لآدم – عليه السلام – فاعتملت الشرور في نفسه فاقسم ليجعلنه وذريته شغله الشاغل وألا يفتر عن غوايتهم طرفة عين .

والحق أن الشيطان شغل حيزا كبيرا في الفكر الإنساني والديانات السماوية منذ القدم، فقد صار محور وحقيقة مؤداها أن مجابهته والانتصار عليه هي طريق النجاة والفوز برضى الله وأن الركون إليه هو الهلاك في الدنيا والآخرة، وبتطور الزمان أصبحت نزغاته جزء لا يتجزأ من مبررات قوى الشر في الأرض، فكل عمل شرير في جوهره الشيطان دافعه ومرتبه، فابتكر البشر نظرات فلسفية متباينة في نظرتهم للشيطان، فمنهم من يراه مؤثرا فاعلا في الحوادث والشرور، ومنهم من عزاها لطبيعة النفس الأمارة بالسوء .

وقد عني المسرح منذ نشأته بنقل صور حية لكل ما يشغل الإنسان في حياته، فأتت المسرحيات جميعها صور كاشفة لقضايا الإنسان ومشكلاته عبر مختلف الظروف والبيئات وكان للكتاب المسرحيين رؤية ثاقبة في التعبير عن الصراع الأزلي بين الإنسان والشيطان وقد بدأت الكتابات الأدبية تنقل صور حسية ورمزية للشيطان، لكن صورة الشيطان في المسرح اختلفت كثيرا عن صورته في الكتب السماوية، فشيطان الأدب يمثل تصورا لنفسية الكتاب المسرحيين والأدباء، فأتى الشيطان في أعمالهم انعكاسا لصور وأوضاع حيواتهم السياسية والاجتماعية . ويؤكد (أحمد شمس الدين الحجاجي ،١٩٨٤، ١٨٤) أن المسرح المعاصر قد احتفى احتفاء كبيرا بالشيطان فكان أحد الشخصيات الرئيسة في العديد من المسرحيات منها على سبيل المثال لا الحصر مسرحية "سليمان الحكيم" لتوفيق الحكيم ومسرحية "أشطر من إبليس" لمحمود تيمور ومسرحية "عبد الشيطان" لمحمد فريد أبي حديد ومسرحية "دموع إبليس" لفتحي رضوان ومسرحية "فاوست الجديد" لعلي أحمد باكثير، وكانت العقيدة الإسلامية هي الإطار العام الذي رسم هؤلاء الكتاب صورة الشيطان في علاقته بالإنسان في مسرحياتهم، وكانت علاقة الشيطان بالإنسان مستمدة من ثلاثة مصادر، مصدر شعبي، ومصدر ديني، ومصدر أجنبي، ومع أن المصدر الشعبي مستمد من الأصول الدينية إلا أنه يبدو مستقلا عن المصدر الديني، فكثير من التصورات الشعبية عن الشيطان وليدة خيال

صاف لا يستند إلى أساس من العقيدة الصحيحة مع أنها تكاد أن تكون عقيدة يعتقدها جمهور العامة، أما المصدر الديني فإن له الغلبة على التأثير في هؤلاء الكتاب حتى ليطغى هذا التأثير على المصدر الأجنبي، فكان ذلك المصدر الأجنبي أسطورة فاوست المستقاه من مسرحية "فاوست" لجوتة "الإنسان الذي باع روحه للشيطان " وهؤلاء الكتاب تأثروا بهذه المسرحية ونقلوا تأثيرها عليهم إلى وضعها في الإطار الإسلامي بحيث كادت تختفي فكرة جوتة وظلت أحداث المسرحية مكسوة بكساء من الفكر الإسلامي .

ومن أبرز الكتاب الغربيين الذين تناولوا صورة الشيطان متأثرا بالفكر الإسلامي أيضا الكاتب الأسباني إليخاندرو كاسونا الذي حمل على عاتقه مهمة تجلية الصراع الأزلي لنزغات الشيطان في حياة الإنسان وكيفية التصدي له والانتصار عليه، فبالرغم من أن كاسونا خالف نهج كثير من الكتاب الغربيين في نظرتهم للشيطان والتعامل معه فقد كان من أقرب الكتاب الغربيين تأثرا بالفكر الإسلامي في أعماله المسرحية، ذلك أن كاسونا عاش في الأندلس وتأثر بالفكر الإسلامي فيها وظهر أثر ذلك في مسرحياته – محل الدراسة – والتي قاربت وبشدة النظرة الإسلامية للتصدي للشيطان ونزغاته والانتصار عليه .

إشكالية الدراسة :

سيظل الشيطان الشغل الشاغل للإنسان طوال رحلته في الحياة وحتى نهايتها ذلك أن نزغاته لبني البشر لا تخمد ولا تفتر أبدا، فقد قطع على نفسه العهود والمواثيق أن يهلك البشر بالمعاصي والآثام، وقد اتخذ من النزغات سلاحا مشرعا في وجهه ليردیه عن سواء السبيل

وقد استلهم كثير من الكتاب والأدباء الغربيين والعرب صورة الشيطان ونزغاته في كثير من إبداعاتهم، ذلك أنه مادة خصبة لتجلية الصراع في العمل الأدبي بما يعطيه من مساحة للصراع بين الخير والشر فساعدهم على بلورة العديد من القضايا والأفكار على اختلاف أنواعها واتجاهاتها. وبالرغم من تناول العديد من الكتاب الغربيين للشيطان في أعمالهم إلا أن الكاتب الإسباني إليخاندرو كاسونا يعد من أبرز الكتاب الغربيين الذين تناولوا الشيطان من منظور قارب وبشدة الفكر الإسلامي في أعماله. ذلك أن المسرح يعد من أهم المصادر للتأريخ للأوطان وسجل لمشاعر الأمم وأراءها وانعكاس للوقع الذي يعيشه المجتمع،" فالنص الأدبي هو دلالة على ما حوله من أشياء طبيعية أو فكرية أو اجتماعية، كما أنه يستطيع أن يقدم نماذج مختلفة من الشخصيات والموضوعات المختلفة مما يساهم في رسم صورة ذهنية وانطباع لدى الجمهور عن الشخصيات والموضوعات"(أمينة رشيد، ٢٠١١، ٢٩)

ومن بين هذه الشخصيات التي تعرض لها المسرح بالوصف والتحليل شخصية الشيطان.

ومن هنا تتحدد إشكالية البحث الحالي في السؤال الرئيس التالي.

إلى أي مدى أجاد الكاتب " إليخاندرو كاسونا " في توظيف النزغات الشيطانية في تجلية القيم الإيمانية في النصين محل الدراسة ؟

تساؤلات الدراسة :

وينبثق من التساؤل الرئيس عدد من الأسئلة الفرعية .

١- ما الصورة الحسية للشيطان في النصين محل الدراسة ؟

٢- ما أنواع النزغات الشيطانية في النصين ؟

٣- ما مظاهر النزغات الشيطانية في النصين محل الدراسة ؟

٤- ما القيم الإيمانية في النصين محل الدراسة ؟

٥- ما دلالة عتبة العنوان وتأثرها بالنزغات الشيطانية في النصين محل الدراسة ؟

أهمية الدراسة :

١- تكمن أهمية الدراسة من أهمية الموضوع ذاته – النزغات الشيطانية – ذلك أن الشيطان ونزغاته يحتلان الجزء الأعظم من قوى الشر في الكون، وهما الشغل الشاغل لبني البشر في كل آن، وكيف استطاع إليخاندرو كاسونا توظيفها في مسرحه .

٢- تكثف الدراسة الضوء على الكاتب المسرحي إليخاندرو كاسونا الذي تميز مسرحه وبقوة بثراء الشكل والمضمون في أعماله المسرحية، ورغم غزارة إنتاجه الأدبي إلا أنه ما زال في حاجة ماسة إلى نظرة فاحصة للدراسة والتحليل والفهم لكتاباته فقد ترجمت معظم مسرحياته إلى عدة لغات وعرضت على خشبات المسرح العربي والعالمي على حد سواء.

٣- البحث دراسة جديدة في الأدب المسرحي والدراسات الأدبية النقدية، ويمكن أن يستفيد منه الباحثون في هذا المجال والمهتمون بالدراسات المسرحية النقدية .

أهداف الدراسة :

تتمثل أهداف الدراسة في الأتي :

١- التعرف على النزغات الشيطانية في النصين محل الدراسة .

٢- التعرف على صور ومظاهر النزغات الشيطانية في النصين محل الدراسة .

٣- التعرف على القيم الإيمانية في النصين محل الدراسة .

٤- التعرف على دلالة عتبة العنوان في النصين محل الدراسة.

٥- البحث في مسرح إليخاندرو كاسونا لتوضيح رؤيته الفكرية والفلسفية والإنسانية تجاه القيم الإيمانية

منهج الدراسة :

تدخل هذه الدراسة في إطار الدراسات الوصفية التي تقوم على وصف مكونات النص المسرحي موضوع الدراسة، وتعتمد على المنهج البنيوي كأحدى المناهج النقدية الحديثة التي تسهم في بلورة ماهية النص المسرحي، والذي يقوم على دراسة أجزاء النص والتعرض للعلاقات التي تربط بين هذه الأجزاء ذلك أن " البنية عبارة عن مجموعة متشابكة من العلاقات، وإن هذه العلاقات تتوقف فيها الأجزاء أو العناصر على بعضها البعض من ناحية، وعلى علاقتها بالكل من ناحية أخرى ."(صلاح فضل، ٢٠٠٣، ١٢٣)

عينة الدراسة :

اعتمدت الدراسة على نصين من نصوص الكاتب إليخاندرو كاسونا وهما مسرحية "الشيطان مرة أخرى" (١٩٣٥)، ومسرحية "مركب بلا صياد" (١٩٤٥) ذلك أن النزغات الشيطانية فيهما كانت من الوضوح بمكان ما جعلهما عماد النصين ومحورهما الرئيس، وكذلك لأنهما من النصوص التي قدمت كثيرا على المسرح العربي والغربي برؤى مختلفة .

واختارت الباحثة مسرح إليخاندرو كاسونا كنموذج للمسرح الأسباني الذي تقارب وبشدة مع المسرح العربي في الفكر والرؤى والتناول للقيم الإيمانية، فالكاتب يبحث من خلال النصين –محل الدراسة – في أغوار النفس البشرية و تأثرهما بالنزغات الشيطانية من خلال حكايات بسيطة تتكأ على أسطورة فاوست، ذلك أن تصور كاسونا للنزغات الشيطانية فيهما ومجابهتما بالقيم الإيمانية قد أبرزهما من خلال إثارة عدة قضايا رئيسة وثانوية، فأثار مشكلات عدة على كافة المستويات العالمية والمحلية، مثل الرأسمالية وتغولها في حيوات الأفراد والمجتمعات وتأثيرهما الشيطاني في تدمير حياة المهمشين من العاملين في بلاطها، وكذلك رسم صورة للمؤامرات والدسائس التي تحاك في بلاط الملوك والحكام بفضل شياطين الإنس والجن، كما تحدث عن قيم فاعلة ومؤثرة في حياة البشر لمجابهة نزغات الشيطان كالحب والخير والتسامح.

الإطار المعرفي للدراسة:

النزغات الشيطانية:

وردت كلمتي " النزغ وينزغ" منسوبة للشيطان في القرآن الكريم في أربع مواضع قال تعالى: " إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا." (الإسراء:٥٣)، وقال جل ذكره:" وإما

ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله إنه سميع عليم." (الأعراف:٢٠٠)، و(فصلت:٣٦).، وقوله تعالى حاكيا على لسان يوسف –" من بعد ما نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي ." (يوسف :١٠٠)، فالنزغ في اللغة: الكلام الذي يغري بين الناس (حميدة صابر الأعرجي، ٢٠١٨، ٤) إذ فرق أبو هلال العسكري بين النزغ والوسوسة بقوله : إن النزغ هو : الإغواء بالوسوسة وأكثر ما يكون عند الغضب، وقيل أصله الإزعاج بالحركة إلى الشر " (أبو هلال العسكري، ١٤١٢هـ، ٥٣٦) ،وقال الراغب : النزغ دخول في أمر لإفساده (الراغب الأصفهاني، ١٤٠٤هـ ،٦٠٠).

فنزغ الشيطان وساوسه ونخسه في القلب بما يسول للإنسان من المعاصي وبما يلقي في قلبه ما يفسده على أصحابه. وفي الحديث: صياح المولود حين يقع نزغة من الشيطان أي نخسة وطعنة. والنزغ: شبه الوخز والطعن(محمد بن منظور، د.ت، ٤٥٤)

وقد رسم الله للمؤمنين طريقا للتخلص من هذه النزغات التي تقطع العلائق فأمرهم على لسان نبيه بالاستعاذة بالله من نزغاته، وجعل الاستعاذة كالماء تطفئ نيران نزغاته وثورته في النفس، لأن الإنسان عاجز بملكاته الذاتية عن مجابهة الشيطان ونزغاته، لكن الإنسان بالاستعاذة يستحضر قوى الله العليم بالشيطان وشره ليصرفه عنه بحوله وطوله .

ويرى (أحمد بن محمد النحاس، ١٤٠٨، ٤٤٩) أن النزغ وعلاجه ناتج من." يغضبنك من الشيطان" وسوسة وتحملك على ترك الاحتمال "فاستعذ بالله" أي فاستجر به مما عرض لك "إنه سميع" لاستجارتك وغيرها "عليم" بما ينزل بك وما عرض لك".

فالأصل في الإنسان أن ينزع بفطرته إلى الخير لكن شيطانه قد ينزغ له بالشر والفساد، فإذا ترك الإنسان نفسه للشيطان ولم يستعذ بالله منه اختلط فكره بفكر شيطانه فصار شيطانا يمشي على الأرض، ذلك أنه لا قدرة للبشر على دفع نزغاته التي تنطلق كالحمم البركانية على القلب فتغلفه بنيران الشهوة والكراهية فتطمس فيه نور الخير والرحمة إلا بالاستعانة والاستعاذة بالله من شره وقوته بقوة خالقه القادر عليه وإلا فلا فكاك للإنسان من نزغه بطاقته الداخلية .

الشيطان في الأديان السماوية :

الشيطان أو إبليس يرى البعض أنها مشتقة من اليونانية " Diabolos" ديابلوس» وتعني الاعتراض والوقيعة أو الدخول بين شيئين للتعويق والافساد، و (الإبلاس) أي اليأس التام من رحمة الله، وكلمة إبليس في اللغة من بلس أو أبلس أي المنقطع الحجة اليأس المتحير. والإبلاس هو الشر، وقد عرف الشيطان أو إبليس في جميع الحضارات القديمة والأساطير بأسماء متعددة أتحدت

في جوهرها في الدلالة على الكبر والشر والعصيان والخيلاء والتمرد والكراهية والحسد والغواية والخبث والخداع .

وقد شبهت العرب كل ما هو قبيح في الشكل أو الفعل بالشياطين ففي قوله تعالى وهو يصف شجر النار قال تعالى " طلعها كأنه رؤوس الشياطين ." (الصافات:٦٥)، قال الزجاج : وجهه إذ استقبح شبهه بالشياطين، فيقال كأنه وجه شيطان وكأنه رأس شيطان، والشيطان لا يرى ولكنه يستشعر أنه أقبح ما يكون من الأشياء، ولو رؤي لرؤي بأقبح صورة .

وقد اقترن لفظ الشيطان –إبليس– في الديانات السماوية بالإشارة لأحد كبراء الجن المقربين من حضرة الله – سبحانه وتعالى – إلى أن داخله الكبر والغرور فلعن وطرد من السماء، وسقط من عين الله فطرده من رحمته إلى يوم الوقت المعلوم.

والشيطان في التوراة أو العهد القديم لم يرد ذكر مفصل له لأن التوراة أهتمت بذكر الإله الواحد رب الجنود وتركيز الدين في نفوس الناس، وقوته الكبيرة في الأرض، فجبروت الله فاق إله الوثنيين الذين كانوا يمثلون بطريقة أو بأخرى حضور الشيطان في العالم، وفي مطلع سفر التكوين يظهر الشيطان متخفيا بهيئة حية في فردوس عدن ليجرب أم الجنس البشري حواء، فيصف الكتاب الحية (أحيل جميل حيوانات البرية) (تكوين ٣:١) بأنها خداعة، انفردت تلك الحية بحواء بأسلوب ماكر دفعتها لتناول ثمرة الشجرة التي نهاهم الرب عن أكلها واستعمل الشيطان في إغواء حواء للخطيئة ذاتها التي كانت سببا في سقوطه وهي الكبرياء.(https://kenanaonline.com ouregy ,2010,)

أما الشيطان في المسيحية " هو كائن روحي له سلطان على زمرة من الكائنات الروحية النجسة الخاضعة له وهم شياطين أيضا." (متى٩ : ٣٤)، وتتحد المسيحية مع الإسلام في أن الشيطان في الأصل ممن عبدوا الله مع الملائكة، لكنه بسبب غروره وكبره سقط من المجد الذي كان فيه . إلا أن المسيحية زادت على قصة طرده وعصيانه أنه بسبب غروره وكبريائه سقط من المجد الذي كان فيه وجر معه مجموعة من الملائكة الموالين له ليتحول إلى أرواح نجسة، حيث اعتقدوا أنه يستطيع أن يصير مثل الإله " أصعد فوق مرتفعات السحاب أصير مثل العليا ." (أشعياء١٤:١٣:١٥)، إلا أن الإسلام يرى أن إبليس أصل عنصره من النار وأنه من الجن أطاع الله في أول الأمر ثم عصى وغوى وطرد من السماء وحده ولم يكن له مناصرين من الملائكة قال تعالى .: " فسجد الملائكة كلهم أجمعون، إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين ." (البقرة : ٣٤).

والمسيحية ترى أنه رغم سقوطه إلا أنه ظل محتفظا بملكات وقدرات خاصة فاقت الإنس والجن معا على الأرض مثل الإدراك والتمييز والتذكر وأحاسيس مختلفة كالخوف والألم والاشتهاء، كما ملك

القدرة على الاختيار، وبسبب تمرد الشيطان أمر الله بطرده وأتباعه إلى جهنم بقيود في الظلام محروس من الملائكة (٢بطرس ٢:٤)" (يهوذ٦)

فأصل الشيطان في المسيحية هو ملاك كان له خصوصية عند الرب، والشياطين أو الملائكة الأشرار في المسيحية أقل عددا من الملائكة الأبرار المختارين، وهم على درجات منهم الرؤساء ومنهم الأتباع إلا أن بعض علماء المسيحية فرقوا بين الشياطين والأرواح الشريرة فالأرواح الشريرة مرتبطة بالأرض ولم تكن ملائكة لله من قبل (عامر سلامة فلاح، ٢٠١٦، ٢١٢).

أما في الإسلام فالقرآن يصف في غير موضع قصة عصيان الشيطان لأمر الله بالسجود لآدم لأنه خلق من نار رأى عنصرها أرقى من طينة آدم، وحسده وحقد عليه لأن الله اصطفاه وكرمه على العالمين وخلقه بيده وعلمه مالم يعلم أحدا من خلقه، فآدم الذي تجبر وتكبر عليه أبليس كان أعلم الخلق لما ألقاه الله إليه من علم لدني مباشر من الله له فاستحق التكريم والسجود، وهو ما غاب عن إبليس، إلا أنه ما نسي أنه طرد من رحمة الله بسبب آدم فاحتال وأغواه وحواء بالأكل من الشجرة التي نهاهم الله عن أكلها في الجنة، فلما أكلا منها أمر الله آدم وزوجه وإبليس بالهبوط للأرض وأن تشتعل العداوة فيها بين الشيطان وذرية آدم إلى يوم القيامة وهو ما تمناه الشيطان واستجاب الله له فيه وأقته ليوم الوقت المعلوم

الشيطان في الأدب والفن:

بدأت فكرة الشيطان تأخذ مكانها في أعمال المبدعين شعر ورواية وأسطورة ومسرح ،فالشيطان يمثل في الأدب صور عديدة منها التمرد على السلطة الاستبدادية، ومنها نكران الجميل والخبث والغدر وحب الإساءة للآخرين، والشيطان في الأدب صوره مختلفة ومتنوعة قد أهتم به الكتاب في الأدب الرمانسي حيث برز بشكل أساسي الملاك الثائر الملاك الساقط ومن أهم هذه الشياطين الأدبية وأبرزها هو بروميثيوس شيطان الأداب اليونانية الكلاسيكية فهو خير الشياطين وأطيبها، وهو ثائر على جوبتر رب الأرباب عند اليونانيين، وقد تأثر به شكسبير فابتكر شخصية مماثلة أطلق عليها أربيل في مسرحية "العاصفة"، ومن أشهر شياطين الأدب الغربي شيطان ملتن في الفردوسين المفقود والمردود، وقد أظهر الشاعر في الأول شخصية الشيطان بصورة تنال إعجاب القارئ وعطفه في بعض الأحيان(أحمد إبراهيم الشريف، ٢٠١٥) وشيطان دانتي الإيطالي في ملحمة الكوميديا الإلهية، وظهر الشيطان في المسرحيات التي كانت تعرض في الكنائس في العصور الوسطى لتعريف الناس بقصص الأنبياء والقديسين، فقدم الشيطان بصورة ساخرة أغرت المشاهدين بالضحك والسخرية منه وفي مسرحيات شكسبير نرى الجن والسحرة وتأثيرهم على الناس مثل

مسرحية "حلم ليلة صيف"، ومسرحية "العاصفة" ومسرحية "هاملت" و"ماكبث" و"يوليوس قيصر"، وظهر الشيطان وتابعه مفيسوفيليس في مسرحية "الدكتور فاوست" لكريستوفر مارلو، وكان الظهور العالمي للشيطان في مسرحية "فاوست" لجوتة حيث الإنسان والشيطان منفصلان عن بعضهما إنما يتفقان مقابل بيع فاوست روحه للشيطان (علي خليفة ،٢٠٢٠ ،٨٨) وأكتسب الشيطان في هذا العمل الأدبي قوة خارقة إذ أنه يتدخل في مصير الشخصيات ويغير حياتهم وهو إذا صورة للشر الجشع والرغبة التي تفرض نفسها .

والواقع أن الأدب العربي لم يعن في تصوير شخصية الشيطان عناية الأدب الغربي، وكان أوضح من تحدث عن الشيطان أبو العلاء المعري في رسالة الغفران، وكان يشير إلى إغواء الشيطان للشعراء وحملهم على الكفر والتجديف، وكذلك رسالة التوابع والزوابع لابن شهيد الأندلسي، وكتاب ألف ليلة وليلة بما حواه من قصص متنوعة عن الجن والشياطين .وكان للشيطان حضور قوي في شعر أبي نواس في قصائده ومقطوعاته الشعرية فانعكس هذا الدور على بنائه وصوره ومعانيه، وكان ممن استلهم شخصية الشيطان في الأدب أيضا بديع الزمان الهمذاني في المقامة الإبليسية، وقد ذكر الجاحظ في كتابه الحيوان أن الجن كانت توحي إلى الشعراء الأشعار والحكم، إلا أن ذكر الشيطان لم يزدهر في الأدب العربي إلا في العصر الحديث بعد ترجمة عدد كبير من النصوص والمسرحيات والقصص الشيطانية من الأدب الغربي للغة العربية فتأثر بها عدد لا بأس به من الأدباء، ولعل أهم من تناول صورة الشيطان في أعمالهم الأدبية متأثرا بمسرحية " فاوست" لجوتة هو محمد فريد أبو حديد في مسرحيته "عبد الشيطان"، وعلي أحمد باكثير في مسرحية "فاوست الجديدة "و مسرحية "هاروت وماروت"، وكان تناولهما للأسطورة تناولا مباشرا، وظهر تأثيرها أيضا لدى كلا من محمود تيمور في مسرحية "دموع أبليس"، (أحمد شمس الدين الحجاجي، ١٩٨٤، ٢٢٥) وفي أدب توفيق الحكيم نرى حضورا قويا للشيطان في قصة "عهد الشيطان"، وقصة "امرأة غلبت الشيطان" وفي مسرحية "نحو حياة أفضل"، ومسرحية "الشيطان في خطر"، ومسرحية "عدو إبليس"، وكذلك في أدب نجيب محفوظ في رواية "ألف ليلة وليلة "، ومسرحية "الشيطان يعظ "، وكذلك الدكتور مصطفى محمود في مسرحية "الشيطان في بيتنا"، فقد أتفق هؤلاء الكتاب في نظرتهم للشيطان على صدورهم من منطق الفكر الإسلامي، ومن الشعراء المعاصرين الذين استدعوا الشيطان في أشعارهم نازك الملائكة في قصيدتها "مرثية الإنسان والهجرة إلى الله"، وأحمد مطر في قصائده "عقوبة إبليس" و"ورثة إبليس" وبدر شاكر السياب في قصيدته الطويلة "اللعنات" (علي رضا حسيني، ٢٠٢٠، ١١)

وتري الباحثة أن المسرح منذ نشأته قد قام على فكرة الصراع بين الخير والشر، وإذا كانت أهواء وشهوات الإنسان المحرك للصراع إلا أنه من وجه أو أخر قد بدأت الأعمال المسرحية مبكرا في الإشارة المباشرة والغير مباشرة للنزغات الشيطانية ومدى تأثيرها في تجلية الصراعات، إلا أن الكتاب قد فطنوا وبقوة أن رمزية الشيطان في إبراز قوى الشر وتجسيمها بحجم يثير في النفس مكامن الخوف والفزع أهم من فكرة الغواية والوسوسة المباشرة، فأتت الأعمال المسرحية حاملة في طياتها إسقاطات سياسية واجتماعية من خلال رمزية الشيطان أو قوى الشر بوجه عام في المؤلفات الأدبية، فربما كان الشيطان ونزغه رمز للاحتلال أو قهر الشعوب، وربما كان في أعمال أخرى صورة نمطية لإعادة تدوير أفكار قديمة كالتوبة والرجوع للحق في قالب فني حمل في طياته الإثارة والتشويق مع عنصري الاقناع والامتاع، لكن المسرح بكتابه ومفكريه قد ساهم بدور فعال في تجلية القضايا الإيمانية من خلال قولبتها في أشكال درامية تبهر المتلقي لكنها تحمل في طياتها رسالات عدة .

المرجعيات الفنية والفكرية لإليخاندرو كاسونا :

ولد كاسونا في الثالث والعشرين من مارس سنة ١٩٠٣ بقرية بيسويو شمال أسبانيا واسمه الحقيقي "إليخاندرو رود ريغيزألباريس"، أما كاسونا فهو الاسم الفني الذي أختاره ليعرف به بين جمهور المسرح، وكان والداه يعملان في التدريس، وهو ما أورثه حب المهنه فعمل بها بعد تخرجه من الجامعة (علي إبراهيم الأشقر، ١٩٩٩، ١٢٤)، وفي عام ١٩٢٨ توجه إلى قرية بادية دي أران معلما في مدرسة ابتدائية مما أتاحت له مجالات للتأمل والمطالعة، وبدأ منها رسالته المسرحية بدافع من التسلية فأسس مسرحا للأطفال سماه "العصفورة الملونة"، ثم اتجه إلى التأليف المسرحي خلال عمله، وبعد أن أخرج أول مسرحياته " الحورية الهاربة " ونال عليها كبرى جوائز " لوبي دي فيجا." وهي أعلى الجوائز التشجيعية للمؤلفين المسرحيين في أسبانيا ،وكذلك نال جائزة الأدب الوطنية عن كتابه مختارات من الأساطير وقد كتبه بغرض جلب انتباة الأطفال إلى خير ما في الأساطير وأخصبها (أحمد حامد، ٢٠٢١، https://www.mofrad.org)ثم عهدت إليه مؤسسة التربية بمنصب مدير مسرح الشعب، وكذلك مديرا للمسرح المتجول، وقام بعرض بعض الأعمال المسرحية لجمهور القرى واستمرت هذه الفترة خمس سنوات، أفاد منها بالاطلاع على أعمال كبار المسرحيين العالميين، ثم استقال من وظيفته وتفرغ للكتابة المسرحية، ثم سافر لأمريكا اللاتينية فرارا من الحرب الأهلية في أسبانيا ١٩٣٦م، والتي عمل خلالها مؤلفا ومخرجا وممثلا واستمرت هذه الرحلة عامين عرض أعماله في المكسيك وفنزويلا وبيرو وشيلي والأرجنتين وكوبا،

ثم عاد إلى أسبانيا ١٩٥٨م واستقر في مدريد وبدأت المسارح تتهافت على عرض أعماله القديمة والجديدة، فكون فرقة مسرحية حملت اسمه، واستأجر أحد مسارح مدريد لعرض أعماله . ثم وافته المنية عام ١٩٦٥م بعد تدهور حالته الصحية فحمل جثمانه لمسرح لارا فألقى عليه مئات الألاف من محبي فنه نظرة الوداع ثم دفن مدريد وسط حشد ضخم من محبيه .

ومن الملاحظ أن أسلوب كاسونا الأدبي يتميز باستخدام لغة بسيطة ودقيقة شاع فيها روح الدعابة، وكان دائما ما يعمل على بقاء خيال الجمهور حيا، فمزج الواقع بالخيال، فهو ينطلق في كتاباته من الواقع بعد أن يفوقه ويعود إليه لكي يثبت فلسفته الخاصة القائمة على أن الواقع إذا لم يكن يسعد الإنسان فمن حقه أن يبحث عنها في عالم الخيال دون عائق يمنعه (warbletoncouncil,2019, https://ar.warbletoncouncil.org) ، لكنه عاد ليؤكد أن الواقع هو الذي يفرض نفسه دون أن يلجأ إلى تهويل الخرافة أو ترك الخيال سارحا بغير قيود، ونجده دائما يرفض القيم السلبية كالحقد والأنانية والحسد، والحب دائما ممكن في مسرحه، فهو ليس تراجيديا على طريقة جارثيا لوركا ولا شهوانيا مثل مسرح أنكلان، فكاسونا كاتب مؤمن بالخير والقيم الإيجابية لحياة الإنسان، وهو متفائل في قدرة الخير في الوصول للسعادة (إليخاندرو كاسونا، ١٩٩٩، ٨) .

إن فلسفة كاسونا الكبرى لديه تعد واحدة من أهم ركائز العمل المسرحي، فقد اعتمد قيما فنية وفلسفية لم يستخرجها من التاريخ المسرحي بل أنفرد بها وحده، وهذا المذهب المسرحي طبع به مسرحياته فرسم أصوله في أعماقه، متخذا من نفسه مثالا فنيا بوضعها بفلسفتها أمام مرآة النص، ساعيا لتفسيرها من خلال تنمية الصراع بين شخوصه داخل المسرحيات، وكأنه بهذا الصراع الدرامي بين الذاتين الخارجية والداخلية يكشف لنا أعماقا في ذاته، فامتازت لغته المسرحية بالتفسيرات النفسية متكأ على الصراع و الحوار والفعل المسرحي مرشدين للقارئ و المشاهد لبلوغ هدفه، فاستثمر هذه الأدوات ببراعة فائقة، ذلك لكونها ليست لغة مباشرة كما في المسرح العام، بل لغة داخلية خاصة تعايشها شخصياته المسرحية في حواراتها الفردية مع نفسها، وتجلت فلسفته الفكرية في تنمية الصراع مع الذات الداخلية من خلال مرتكزاته الثلاث " الرب و الحياة و الموت " (محمد يونس،٢٠٢١، https://alzawraapaper.com). فظهرت فلسفته بجلاء من خلال تعميق الحوار، معتمدا على العمق المضموني ووحدة البناء الدرامي لمسرحياته كي يتوائم معها نفسيا، وقد استثمر عبقريته هذه متخذا فلسفته أساسا لفكره المسرحي، فطبعها بخصوصية تفرد بها في أعماله، فنجده يعيد تدوير أفكارا تاريخية و فلسفية قديمة وحديثة ويعيد انتاجها بأسلوب أعمق

من المنطق العام ذاته، بل لقد بلغ العمق المسرحي عنده حدود اللاوعي، فبالرغم من أن الزمن المسرحي يثبت أفق الوعي داخل النص نجده قد اكسب أفكاره أبعادا فلسفية عميقة فنقل الفكرة بنعومة فائقة من وعيها العام إلى مدركات ووعي خاص جديد قصده كاسونا منذ شرع في الكتابة، مستغلا الخطاب المسرحي بإضافة أفكار فلسفية إليه من خلال إقحام النفس الإنسانية بحجب مرتكزاتها الثلاث من خلال مواجهة الشيطان لمرتكزاته الفلسفية ليهدم أركانها، أو بالأصح التمرد على إرادة الله، فاستثمر هذا الصدام فزاد من حدة إيقاعه وانطلق به إلى حدود خيالية، ونلحظ أن فلسفة كاسونا تتشابه في جوانب كثيرة منها مع فلسفة شكسبير بخاصة فكرة التزاوج بين الوعي واللاوعي (محمد يونس،٢٠٢١، https://alzawraapaper.com). لكن كاسونا عني بشدة بترسيخ المثل العليا عند المتلقي من خلال شخوصه و صراعتهم الداخلية الذي تعايشه، فبرع كعادته في تقديم عمل مسرحي نوعي من خلال فلسفة حيوية متمثلة في صراع تاريخي داخلي بين الخير والحب والحياة الحقيقية من ناحية، والموت والكذب الشرور من جهة أخرى، فأزم حياة أبطاله إلى حد مقلق حسيا، وعظم من فكرة الموت، مستدعيا سينغرافيا عالية في كتاباته، فبالرغم أن مسرح كاسونا هنا نصوص مكتوبة، إلا أننا نشعر به وقد اخترق بالقارئ أبعاد زمنية واسعة، أمكن استثمارها فنيا(محمد يونس،٢٠٢١، https://alzawraapaper.com).

ولعل توجه كاسونا لاستخدام الشيطان برمزيته وما له من حضور عميق في النفس الإنسانية كان مرجعه الأكبر هو استثمار الرمزية المطلقة للشر فيه ولتجلية الصراع في النص، وكذلك لأن الشيطان شكل جزأ كبيرا من الفكر الإنساني في الأندلس لتأثره بالثقافة العربية الإسلامية لأكثر من ستة قرون، فكانت المسرحيتان صدى مباشر لهذا الإرث الثقافي والحضاري للتزاوج بين الثقافات والحضارات على أرض الأندلس.

الجانب التطبيقي للدراسة .

أولا : الصورة الحسية للشيطان عند كاسونا .

لقد شغل الشيطان عقل وفكر الإنسان بتخيل شكله والتهويل والتنفير من هيئته وقد تبارى المفكرون والعلماء في تقريب هذه الصورة . فرسمت صورة الشيطان بوضوح تام قبل أن يلتقي مع الإنسان وجها لوجه في صراعه الطويل معه، ورسم لإبليس هيكل جسدي أقرب إلى الآدمية لكنه مشوه ممسوخ منكوس مقبوح هائل كرية له جسد كجسد الخنزير ووجه كوجه القردة، وقد شق فمه وعيناه طولا وأسنانه كلها عظم واحد ولا ذقن له، ومنبت شعره مقلوب إلى السماء، ومنخره كذلك مقلوب إلى السماء، له جناحان وله أربعة أيادي، وله يدان في منكبيه ويدان في جنبيه، وعراقيب قدميه إلى

الأمام، وأصابعهما مما يليه من القدم خلفه، وله وجه مثل القفا(أحمد شمس الدين الحجاجي، ١٩٨٤، ١٩١)

ويرى الجاحظ أنه ليس من الناس من رأى شيطانا قط على صورته ولكن لما كان الله قد جعل فى طبائع جميع الأمم استقباح صورة الشيطان واستسماجه وكراهته وأجرى هذا على ألسنة جميعهم ضرب المثل به فى ذلك رجع بالإيحاش والتنفير وبالإخافة والتفزيع إلى ما جعله فى طبائع الأولين والآخرين والشيوخ والصبيان والرجال والنساء مستشنع(أبو منصور بن محمد الثعالبي، د .ت، ٧٧)

إلا أن (أحمد شمس الدين الحجاجي، ١٩٨٤ ،١٩١) يرى أن صورة الشيطان قد تحددت في المسرح فأصبحت ملابسه وهيئته معروف لدى المتفرجين، فلا يحتاج ذلك منا إلى بناء صورة جديدة له، إلا إذا كان بهدف معين .

إلا أن كاسونا قد اعتمد بذكاء في رسمه للشيطان في مسرحيتيه على الصورة النمطية للشيطان في أذهان المتلقين، فاستدعي من هذه الصورة الخوف والفزع والتنفير منه، إلا أنه لم يقف كثيرا مع هذا الشكل والوصف الخارجي بل بنى بذكاء على هذه الصورة ما خدم به فكرتيه في المسرحيتين، فشيطان مسرحية "مركب بلا صياد " هو هو نفسه الشيطان بنفس أفكاره وشروره إلا أنه كشيطان تلون بزي العصر الذي يحياه والشخوص المراد إغوائهم، فقد رسم صورة معاصرة للشيطان في مركب بلا صياد تتناسب مع العصر والزمان والمكان الذين أتخذهم إطارا لعرض فكرته، وكانت الصورة لرجل عصري يلبس بدلة باهظة الثمن سوداء يبدو عليه الهدوء والثقة الشديدة بالنفس وتحت أبطه حافظة ليوحي بأنه رجل تجاري عملي لا يضيع الوقت من غير عقود للصفقات وذلك لإحداث الأثر المرجو وهو عدم إخافة ريكاردو والإيحاء أن الشيطان الرأسمالي الذي جاءه إنما هو جزء من روتينه اليومي وأن التعامل معه أمر طبيعي ودليل على مسايرته لروح العصور التي يظهر فيها، مما يؤكد أن الشر متجدد في كل زمان ومكان، فالرأسمالية كلها تعتمد على نفس النمط من الشياطين .

يدخل المكان رجل متشح بالسواد يرتدي بذلة أنيقة جاكته ذات ذيلين وسراويل غامقة مخططة مما يلبس في السهرات وقفاز أسود وتحت أبطه حافظة " ذو مظهر عادي لا يميز شخصيته إلا وجه تلوح عليه علائم الجرأة وذقن مدببة وابتسامة باردة .

ريكاردو : من أنت ؟ يبدو أني رأيت هذا الوجه مرة من قبل . لا أدري أين ؟

الرجل : صديق قديم، كنت تراني في أحلامك عندما كان قلبك عامر بالإيمان .

ريكاردو: نعم في كتاب مصور " محدا النظر إليه " في وسط سحابة من الدخان ؟ وعليك عباءة حمراء وريشة ديك ؟

الرجل : نعم ... كان هذا هو الزي التقليدي في ذلك الوقت ... ولكن العصور تتقلب، وكان ينبغي علينا أن نتطور بالألوان والأزياء ... حتى نجاري العصر !(مركب بلا صياد :٧١)

ونلحظ أن الشيطان قد دخل لريكاردو من المدخل الذي يتناسب وشهوته الكبرى في نفسه وهي المال والثروة والنفوذ لكي يعيد إليه القوة الرأسمالية بكل شرورها ويكمل مسيرته الشيطانية في الحياة على نفس النمط، وكأن الإفلات من براثن الشر صار عقابا للرأسماليين، فهو لم يغره بالنساء أو بالقوة بل بالمال، وزيادة في الإغواء عمد الشيطان لتدنيس روحه أكثر فأكثر بأن يجره لجريمة أبشع لم يجربها عن قصد من قبل وهي القتل لعله بذلك يكتشف مواطن جديدة من الشر داخل نفس ريكاردو فيكون أيقونة للشر وابنا لإبليس بين عالم البشر

أما في مسرحية "الشيطان مرة أخرى" فقد رسم كاسونا صورة نمطية للشيطان تساير زمن المسرحية، لكنها لا تخلو من تلميحات بالشكل التقليدي للشيطان بذيله وشكله المنفر كما في الفكر الإسلامي، وهو ما يذكرنا بوجه أو بأخر بقصة إمساك النبي – صلى الله عليه وسلم – بالشيطان فقد أخبر الرسول – صلى الله عليه وسلم – عن نفسه عليه السلام :" أنه قد تفلت علي الشيطان البارحة ليفسد علي صلاتي فلولا أني تذكرت دعوة أخي سليمان لربطته بسارية من سواري المسجد حتى يلعب به صبيان المدينة، وفي حديث الإسراء أن شيطانا قصده عليه السلام بشعلة من نار فأمره جبريل عليه السلام بالتعوذ منه." (أبو العباس أحمد القرافي، ١٩٩٨، ٢٥٢)

الطالب : هو شيطان ناضج ليس له عمر يرتدي ثيابا نظيفة سوداء على شكل صارم، سروالاَ، قبعة أكاديمية، معطفا قصيرا، يتحدث على نحو طبيعي فيه أحيانا فيه لمسة من كأبة

الشيطان : لكن سبق لك أن عرفتني، قل الآن بصراحة ماذا أبدو لك؟

الطالب : لا بأس بك . ظننتك أكثر قبحا ! نعم يقولون : لا تفلت الشيطان حين تمسكه من ذيله . (الشيطان مرة أخرى : ٢٧)

ونلحظ أن كاسونا يرى أن الشيطان هو فكرة ضخمة للشر لا في تجسدها في شكل ما قبيح كان أو عصريا، بل في نوازع الشر في النفوس وكذلك استثمارها ممن يستفيدون من المتاجرة بها، فقد بنى مسرحيته هنا على فكرة فلسفية عميقة وهي أن الفلاسفة والرسامون هم من شوه سمعة الشيطان ليكتسبوا الخلود والمال من الناس، وأنه يمكن للشيطان من وجهة نظرة تقديم الخير من منظور جديد ربما لم يعهده البشر من قبل خير ليس مضادا للشر وليس على طريقة القديسين ولا بالعطف على

الفقراء، ليس خيرا نمطيا بل خير شيطاني يقلب موازين الممالك ويسمح للرعاع أن يرتقوا للملك وأن يبرز بطولات هلامية ليلهي البسطاء عن مقاومة مداخل الشر في نفوسهم وينمى فكره الشيطاني بين العوام في انتظار أو استثمار الشر في شكل جديد

ومن العجيب أن كاسونا قد صعد من نظرته الفلسفية للشر في مسرحية "الشيطان مرة أخرى" بأن صوره في صورة رجل متدين يمارس الطقوس والشعائر الدينية، ولا عجب في ذلك فشيطان كاسونا ميكيافيلي لأقصى درجة لا يتحرج من أن يتلون لمن يغويهم باللون الذي يلهيهم عن الطريق المستقيم بل ويصلي بالأميرة ليذهب ضيقها ويرسم شارات الصليب ويعترف بتدينه صراحة مما أشاع فيمن حوله روحا من الرضا والثقة فيه لتدينه ليبرهن أن الشر الذي نخشاه ونتحاشى مواجهته قد يظهر لنا في صور وأشكال نطمئن إليها.

الشيطان : لن أتركك أبدا . لكن أنا أذهب إلى المصلى !

ابنة الملك : أرجوك خذ بيدي . الصلاة تهدئ من روعي .

الشيطان : في هذه الحالة " يمد لها ذراعه " هيا بنا ! (الشيطان مرة أخرى :٨٢)

وكذلك صرح الشيطان للطالب أنه سيساعده في بداية المسرحية للزواج من الأميرة، ليحقق من خلاله أهدافه الشيطانية، متنكر كعادته بكل غرابة لكل من وثقوا فيه من ملك وحاشية وأميرة فأبتلى الشعب بالجوع والأوبئة، أي أن الشر لا ينظر أبدا إلا إلى خططه وأهدافه الشريرة مهما كان الثمن من الضحايا وهذا هو الشر الشيطاني الذي قصده كاسونا من خلال مسرحيته .

وقد كانت الطريقة التي دخل بها الشيطان دخولا مفاجئا وهي ليست غريبة ولا مبتكرة، ذلك أن الأصل في الشياطين أنهم يختفون، فإن كان ولا بد من ظهورهم فهم ليسوا في حاجة لقرع الأبواب واقتحامها أو التشكل في صور مرعبة لحيوانات وغيرها ،" فعن إسحاق الموصلي عن أبيه، أنه بينما كان في مجلسه في بيته وقد أمر ألا يدخل عليه إنسان إذ بشيخ ذو هيبة وجمال وعلى رأسه قلنسوة وبيده عكاز مطعم بالفضة أخذ يعلمه الغناء الماحوري الذي اشتهر به، يقول الموصلي ثم غاب من بين عيني فارتعدت لذلك، وقمت إلى السيف فجردته، وغدوت نحو أبواب الحريم فوجدتها مغلقة، فقلت للجواري : أي شيء سمعتن عندي ؟

فقلن : سمعنا أحسن الغناء، لم نسمع قط أحسن منه !

فخرجت متحيرا إلى باب الدار فوجدته مغلقا، فسألت البواب عن الشيخ الذي خرج فقال : أي شيخ ؟ والله ما دخل عليك أحد .

فرجعت لأتأمل أمري فإذا هو قد هتف لي من بعض جوانب البيت: لا بأس عليك يا أبا إسحاق " أنا أبو مرة / إبليس " قد كنت نديمك اليوم فلا ترع ."(محمد دياب الأتليدي، ٢٠٠٤، ١١٣)

ونلحظ أن دخول الشيطان في مسرحية "مركب بلا صياد" أتى في صورة هادئة كتلك الصورة التراثية السابقة، ولكن كاسونا أضفى عليها لمحة عصرية فقد عمد الشيطان لتعطيل كافة وسائل الاتصال الحديثة في مكتب ريكاردو بمساعديه أو بالعالم الخارجي فقطع اتصال الهواتف وكذلك تخطى كاسونا حدود الصدمة في اللقاء لأول وهلة، فالشيطان لم يترك الفرصة لريكاردو أن يحاوره في كيفية الدخول أو قبول الزيارة من عدمها بل هاجم الشيطان ريكاردو مباشرة وأوجد أرضا مشتركة للحديث بأنه صديق أتى بعدما علم بما حل به من خراب لينقذه، ولم يدع لريكاردو مجال للمراوغة فهو يعلم عنه أدق التفاصيل التي لا يعلمها إلا أقرب المقربين منه، وهنا يظهر الوجه الحقيقي للشيطان بأنه هو وحده طوق النجاة لريكاردو، وليطمئنه من هذا اللقاء المفاجئ اختصر عبارات طويلة وأحاديث كثيرة في كلمتين أنا صديق قديم أتيت لأنقذك، ليحدث في نفسه الأثر المرجو وهو الركون والاطمئنان لنصحه

ريكاردو: من أنت ؟

الرجل: صديق قديم، لقد كنت تراني في أحلامك كثيرا منذ وقت طويل، حينما كنت طفلا وكان قلبك عامر بالإيمان (مركب بلا صياد : ٧١)

أما في مسرحية "الشيطان مرة أخرى" فكان دخول الشيطان الهادئ من خلف الصليب مرتديا ثيابا تقليديه سوداء واقترابه من الطالب بهدوء وإلقاءه السلام عليه، هي صورة مقلوبة فشيطان كاسونا متدين منذ أول لحظة لكنه كافر بالرسل والقديسين وأعمال الخير التي اعتادها الناس، شيطان يبرهن في كل حركاته وسكناته أن قبلته هي هدفه ومصالحه هو فقط وإن تحالف مع أعدائه وأنه بهذا المظهر المتدين ربما يخدع ضحاياه ليثقوا فيه وينفذوا خططه ،لكن الطالب عرفه جيدا منذ أن رأه وحذره من أنه يعرف نواياه وأن العبث معه مغبته سيئة .

الطالب : آه حسنا " يجلس مرة أخرى بهدوء " ولكني أحذرك أنك تضيع وقتك معي، لست مستعدا لبيعك روحي مهما كان الثمن . أنا كاثوليكي رسولي روماني .

الشيطان : أنا أيضا . أقسم لك على ذلك، يرسم صليبا بإبهامه وسبابته ويلثمه

(الشيطان مرة أخرى :٢٤)

أما عن قتل الشيطان . ففي التراث الإسلامي قصة تحريض الشيطان للمشركين على النيل من المسلمين بمكة قبل الهجرة، إذ هتف هاتف على بعض جبال مكة من الليل وفتية من المشركين يسمعون صوته ويعرفون قوله وهو يقول قبح الله رأي كعب بن فهر

قال ابن عباس – رضي الله عنهما –: فوثب المشركون علينا وهموا بنا، قال فلما بلغ النبي – صلى الله عليه وسلم – صياح الصائح قال عامر بن ربيعة هذا شيطان فيمن يدخل في الأوثان ويكلمهم فيها ولم يعلن شيطان بتحريض على نبي قط إلا قتله الله تعالى .

قال عامر بن ربيعة رضي الله عنه فمكثنا ثلاث ليال ثم دخل علينا النبي– صلى الله عليه وسلم– في بيت عند الصفا كنا نجتمع فيه مسرورا فقال أشعرتم أن الله عز وجل قتل الشيطان المحرض عليكم قتله رجل من عفاريت الرجل يدعى سمحجي فاسميته عبد الله لم يزل في طلبه منذ ثلاث حتى ظفر به البارحة فقتله (محمد بن إسحاق الفاكهي، ١٤١٤هـ، ١٣)

و ترى الباحثة أن كاسونا قد تماس مباشرة مع الفكر الإسلامي في فكرة محاولة قتل الشيطان فقد رسمها ببراعة في المسرحيتين ففي مسرحية "مركب بلا صياد: يرى أن قتل الشيطان يكون بتضييق مسالكه في نفس الإنسان وقتل الشر في النفس وبهذا ينتصر على الشر في الحياة وهي نصيحة لكل الأحياء بكيفية التخلص من نزغاته في نفوسهم .

ريكاردو: إن ريكاردو خوان قد قتل ريكاردو خوان بلا دماء (الشيطان يخفض رأسه وقد بدا عليه الاضطراب والحيرة) . (مركب بلا صياد:١٨١)

فريكارو الأول الذي وقع العقد مع الشيطان هو شيطان إنسي جبان مستعد لارتكاب أية جريمة طالما لم يكن حاضرا لارتكابها، رجل يستسهل التجارة في عرق الآخرين وهو لم يبذل قطرة عرق فيها لينجو وحده من الإفلاس والضياع لا يبالي بأحد قط، أما ريكاردو الجديد فقد انتصر على نفسه وضعفها وشهواتها، وفهم حقيقة الحياة وأنها بكل مغرياتها لا تساوي راحة البال والعيش بجوار من يحب، فيقتل ريكاردو خوردان الشرير ليصبح ريكاردو خوردان المتطهر الخير، لقد انتصر بالحب على الشيطان وضيق مجاريه في نفسه مما أجبر الشيطان أن يلقي العقد الذي وقعه معه وأن ينسحب خاسرا خاسئا

أما في مسرحية "الشيطان مرة أخرى" نجده يستلهم أيضا من التراث الإسلامي من قصة ملاحم آخر الزمان[١](أبو الفداء بن كثير، ١٩٨٨، ٨٩) قتل عيسى – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام –

[١] - ويكون نزول عيسى ابن مريم مسيح الهدىَ فى أيام المسيح الدجال مسيح الضلالة ، على المنارة الشرقية بدمشق فيجتمع عليه المؤمنون ويلتف به عباد الله المقتون ، فيسير بهم المسيح عيسى ابن مريم قاصداً نحو الدجال ، وقد توجه نحو بيت المقدس فيدركهم عند عقبة أفيق

لإبليس – وإن كانت الرواية من الضعف بمكان– إلا أنه تناص معها من غير وجه في فكرة قتل الشيطان بخنجره والذي يتلطخ بدم الشيطان ."عن مسلم أن سيدنا عيسى – عليه السلام – يقتل إبليس بيده بعد نزوله وفراغه من صلاته ويرى المسلمين دمه في حربته ."(علي بن برهان الدين الحلبي، ١٤٠٠هـ، ٤٠٨)

لكن الثابت أن المسيح عيسى– عليه السلام – يقتل المسيح الدجال وليس الشيطان كما في الرواية السابقة، لكنه على كل حال أستلهمها ببراعة من التراث الإسلامي باعتباره تراث إنساني للبشرية جمعاء .وكأن كاسونا قد وقف على هذه القصة وتناص معها يقول :

الطالب : نعم أنا قتلت الشيطان، في هذه الليلة كان يلتف على جسدي كالأفعى، تصارعنا حتى مطلع الشمس وصرعته وجردته من سلاحه وقيدت يديه .

المربي : في الواقع يا سيدي هذا هو خنجر الشيطان ذاته، وهو مشبع بالدم، لابد أن نسلم بالحقيقة . لقد مات الشيطان .(الشيطان مرة أخرى : ١٢٢).

لكنه عاد وأكد على فكرته الرئيسه بأن قتل الشيطان أو قتل مالا يمكن قتله يكون بتضييق مداخله في النفس بمحاربة الشهوات والانتصار على النفس ومقاومة شهواتها وبهذا نجد الطالب يعلنها صريحة أنه قتله داخل نفسه، مما أغضب الشيطان من فهمه وإيقاظه لعقول المملكة لطريق الخلاص . فيقرع الأجراس على غير موعدها وعادتها وكأنه يرعبهم ويضلهم عن فكرة النصر على النفس.

الطالب : خنقته " يضغط على صدره " خنقته هنا في داخلي .(الشيطان مرة أخرى : ١٢٢)

لقد أخذنا كاسونا إلى لب الصراع والسلاح الحقيقي لقتله وهي إطلاق هوى الحب والخير وهما كفيلان وحدهما بالقضاء عليه .

ثانيا – أنواع النزغات الشيطانية في المسرحيتين:

إن كاسونا قد عمد إلى تعظيم نظرته للنزغات الشيطانية في المسرحيتين من خلال محورين لعب عليهما ببراعة شديدة هما النزغات المباشرة والغير المباشرة، ذلك أن مجال بروزهما هما النفس والسلوك الإنساني.

فينهزم منه الدجال فيلحقه عند مدينة باب لد ، فيقتله بحربته وهو داخل إليها ويقول إن لي فيك ضربة لن تفوتني ، وإذا واجهه الدجال ينماع كما يذوب الملح في الماء فيتداركه فيقتله بالحربة بباب لدّ ، فتكون وفاته .

عن أَبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال قال رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَالَّذِي نَفْسِي بيده لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابن مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الْجِزْيَةَ وَيَفِيضَ الْمَالُ حتى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ حتى تَكُونَ السَّجْدَةُ الْوَاحِدَةُ خَيْرًا من الدُّنْيَا وما فيها ثُمَّ يقول أبو هُرَيْرَةَ واقرؤوا إن شِئْتُمْ (وَإِنْ من أَهْلِ الْكِتَابِ إلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قبل مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عليهم شهيدا)، صحيح البخاري .

١– النزغات الشيطانية المباشرة للشخصيات :

النزغات المباشرة هي التي تتسق فيها إرادة الإنسان وهواه مع وسوسة الشيطان فيأتي عملا منكرا يجر الشر عليه وعلى من كاده وقصده بالشره فتخرج لنا في صورة جرائم حسية منكرة تروع الناس من هولها . فرسم كاسونا صورة لشيطان في صورة أدمي يغوي ويحرض على الشر بشكل مباشر وقد تقارب وبشدة مع الروح الإسلامية في تجسيد ظهور الشيطان بشكل مباشر وهو ما لم يحدث في التراث الإسلامي إلا مرة واحدة في غزوة بدر.

قال تعالى : " وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما ترآت الفئتان نكص على عقبيه قال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب ." (الأنفال : ٤٨)

يقول الرازي في تفسيرها :"عندما أرادوا المشركون السير إلى بدر خافوا من بني بكر بن كنانة، لأنهم كانوا قتلوا منهم واحداً، فلم يأمنوا أن يأتوهم من ورائهم، فتصور لهم إبليس بصورة سراقة بن مالك بن جعشم وهو من بني بكر بن كنانة وكان من أشرافهم في جند من الشياطين، ومعه راية، وقال : " لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم" مجيركم من بني كنانة، فلما رأى إبليس نزول الملائكة نكص على عقيبه . وقيل : كانت يده في يد الحرث بن هشام، فلما نكص قال له الحرث : أتخذلنا في هذه الحال ؟ فقال : إني أرى ما لا ترونا ودفع في صدر الحارث وانهزموا." (فخر الدين الرازي، ٢٠٠٠، ١٤٠)

وكأن كاسونا قد استلهم هذه القصة من التراث الإسلامي فرسم في مسرحيتيه حوار صريح بين الشيطان بعدما شخصه في صورة آدمي يمارس وسوسته الشيطانية المباشرة لإغواء الإنسان بأن يأمر بالشر في صورة مباشر بلسان طلق ولهجة واضحة لا خفاء فيها ولا تورية وذلك ما ظهر في مسرحية "مركب بلا صياد "، في الحوار بين ريكاردو والرجل الشيطان

ذلك أن ريكاردو بطل المسرحية رجل مادي يمثل الفكر الانتهازي الرأسمالي الذي يدوس بقوة على كل القيم والأخلاق ولا يشعر بتأنيب الضمير أبدا عما يرتكب من جرائم أخلاقية قد تهلك العاملين معه أو منافسيه لتعظيم أرباحه التي تتضخم من دماء منافسيه، لم يتوقف يوما مع نفسه ليحاسبها على أفعالها الشريرة، مما أغرى الشيطان بالظهور له ليحرضه على أن يكمل مسيرة الشر التي بدأها بأن يقتل هذه المرة بشكل مباشر، وعندما تردد أقنعه بقبول الفكرة فقط ليسترد بعدها ما خسره من أرباح وثروة عاش يقاتل من أجلها .فيقول له الشيطان كاشفا حقيقته

الرجل : إن بطاقتك حافلة فعلا بالخيانات والشرور والفضائح والأضرار، حتى الألم الإنساني لم يهز قلبك مرة واحدة، لم يبق من الوصايا التي أمرت بها إلا وصية واحدة لم تخرقها بعد : ألا تقتل .

ريكاردو: (في انزعاج وهو يهب واقفا) : وهل جئت لتعرض عليَّ ارتكاب جريمة القتل ؟

الرجل: بالضبط. هو الشيء الوحيد الناقص في بطاقتك. أنا أدعوك إلى أن تجرؤ إلى إكمال بنود هذه البطاقة، وأعدك في مقابل ذلك بأن تعود إلى يديك أزمة القوة والمال التي فقدتها الآن. (مركب بلا صياد: ٧٧)

ثم نجد الشيطان ينحو المنحى الطبيعي لفكرة الشر وتزيين الغواية للإنسان فيهون على نفسه جريمة القتل ليحقق هدفه بأن يكمل بطاقة ريكاردو بتلويثها بجميع أنواع الشرور

الرجل: أأنت واثق من أنك لم ترتكب جريمة قتل من قبل ؟ هناك جرائم لا يسفك فيها دم، ولا نص عليها القانون . فأنتم مثلا تصنعون المرضى، ثم بعد ذلك تبنون لهم المستشفيات .(مركب بلا صياد : ٧٨)

ثم يصعد كاسونا من تعظيم فكرة تأنيب الضمير بنزغة مباشرة لدى ريكاردو والعجيب أن الذي يجلد ضميره هو الشيطان الذي أمره بالقتل وكأنه يتماس مع قوله تعالى " كمثل الشيطان إذ قال للإنسان اكفر فلمَّا كفر قال إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ." (الحشر:١٦)

ريكاردو: (منخفضا صوته) : وما الذي عليَّ أن أفعل ؟

الرجل : (واضعا عقد الاتفاق على المائدة)، يكفي أن تضع توقيعك هنا – لتتم الصفقة بقتل الصياد بيتر أندرسون – .... إنها اللحظة المنشودة " ريكاردو يوقع "، وحينئذ تسمع صرخة شديدة تطلقها امرأة وكأنها خارجة من داخل الكرة الأرضية

الرجل : مسكين بيتر أندرسون . (مركب بلا صياد : ٨٥)

ثم نجد أن الشيطان يزيد من أثر النزغة المباشرة بإشعار ريكاردو بالذنب بعد قبوله لفكرة القتل ليمعن في إذلالة، والأدهى أنه يجعله ممتن له لأنه عطل شرور كثيرة كادت تنهي ريكاردو لصالح أعدائه، فالقتل ثمن بخس في نظر ريكاردو، عظيم عند الشيطان لدرجة أنه يظهر بنفسه ليقنعه بتنفيذه بنفسه ليحقق هدفا أعظم، ونلحظ أنه كذلك ضخم من إحساس الذنب والمعاناة لدى ريكاردو ليكون هو الثمن الآجل لجريمة أول مرة يرتكبها بشكل مباشر في حياته وعن عمد وإصرار منه ليحقق الشيطان بذلك متعته في الغواية .

الرجل: لا تعد للتفكير فيها واذكرك قبل كل شيء بكلماتك أنت " القلب ناصح مفسد لصفقات رجال الأعمال " – يتجه إلى الباب وعلى شفتيه ابتسامة غامضة – على كل حال: مسكين بيتر أندرسون أليس كذلك؟ لقد كان صوته يرتفع بالغناء كأنه عاشق: وكانت تبدو عليه السعادة. (مركب بلا صياد: ٨٦).

ويرى (أحمد حامد،٢٠٢١، https://www.mofrad.org) أن الشيطان هنا ليس إلا تجسيد لفكرة الشر الخالص، الشر الذي أعجب بخيانات ريكاردو من فضائح وشرور وأضرار بخصومه، لكن لا يرضيه منهم كل هذا الشر بدون الأتم الأعظم وهو القتل، والعجيب أن اختار قتلا أشنع من القتل ذاته، جعله حبيسا فيه طوال حياته، قتل الإرادة والتخيل، لن يصاب فيه ريكاردو بأي ضرر دنيوي فيسرع بالموافقة، فيريه الشيطان جريمة القتل بعين تخيله ومفادها أن صيادا سيقع من أعلى التل، فمن يكون القاتل، القاتل الحقيقي هي إرادة البطل في القتل، وجعل من صرخة امرأة الصياد الشاهد والجلاد والمنقذة لريكاردو فأبدا تحرك ضميره ليفيق ليصحح مساره ويتوب من ذنبه

وبذلك فالكاتب أبرز نزغة الشيطان شر فوق شر هي هدفه في المسرحية وكذلك تزيين الغواية المباشرة بالقتل وتزينها ثم معاقبة ريكاردو على متابعة خطوات الشيطان بتأنيب ضميره له هي المحور الذي مهد به لتنامي الأحداث في المسرحية

أما في مسرحية "الشيطان مرة أخرى" فنجد الكاتب اليخاندرو كاسونا قد عمد إلى رسم صراع في قالب كوميدي لمملكة قاربت على الفناء وانتشر بها الوباء وتتأهب لدخول حروب غير مبررة مع جيرانها لأن الشيطان قد نشر شره فيها ليبرز بطولة طالب أسباني ليجعله منقذا قرر الشيطان مساعدته في الزواج من ابنة الملك بعدما ترك دراسته وأصبح رئيسا لقطاع الطرق .

الشيطان :، عليَّ أن أفعل الخير قبل أن اتقاعد بسبب الهرم لكنه خير شيطاني يقوم على التأمري والإغواء. إنني لا أفكر في عمل الخير كما يعمل الشر، ولا بمنح صدقة كما يفعل الملائكة والأغنياء الجدد، احتاج إلى النضال سأعلمك صنع روح مجبولة بالنار والحديد .(الشيطان مرة أخرى : ٣١)

فالنزغة الشيطانية المباشرة هنا تتجلى في كونه شر مفتعل من الشيطان لخلق أزمة هلامية لإفساح الطريق لبطولة غير حقيقية من الطالب لتبرير أهداف شيطانية كما زعم الشيطان في المسرحية وإن شئت فهي بحق شر دون شر .والحق أن منهج الشيطان هنا يعكس وبشدة السياسات العالمية التي نحياها اليوم في حيواتنا المعاصرة فالدول التي تتاجر بشعارات براقة وتحت مسميات خادعة مثل حقوق الإنسان ومكافحة الإرهاب العالمي هي من تقوم بقتل الإنسان وإرهابه والسطو على ثرواته

ومقدراته من أجل أن تستولي على ما في يديه من ثروات حسدتها عليه وكم من ملايين قتلوا من أجل شياطين الإنس تحت مسميات ومصطلحات ملوثة ولا يدرون فيما قتلوا .

٢- النزعات الشيطانية غير المباشرة للشخصيات.

أما النزغات الغير مباشرة فتتسق فيها أهواء ورغبات النفس الشريرة مع نزغات الشيطان في هدف واحد وهو إلحاق الأذى بالغير لكن النفس الشريرة هذه لعجزها عن الإتيان بفعل يثلج نارها تكتفي بأن تضمر الشر والكراهية لمن تكرهه.

يختلف الناس في تعاطيهم للشر اختلافا كبيرا، نظرا لتمايز طبائعهم ومشاربهم وطرق تفكيرهم وما يجذبهم اختلافا يتراوح بين النقيضين، فهذا يفتتن بالعقل، وهذا يجذب بالعاطفة، وثالث يؤتى من حب المال، ورابع من حب الظهور وخامس من حب الخلود و..... وهكذا.

لذا فقد تعددت واختلفت المداخل التي من خلالها يتثنى للشيطان أن ينفذ إلى نفس الإنسان فيغويه، وتلك المداخل هي التي نسميها نقاط الضعف الإنساني، وهي في مجملها نوازع سوء وشر اقتضتها طبيعة الإنسان، فكل إنسان جبل على الخير والشر وفطر على الخير، فمن نازعته جبلته على فطرته غلبت عليه تلك النوازع السيئة وكثرت فيه نقاط الضعف، وبالتالي مداخل الشيطان، وأما من غلبت فطرته جبلته فغلبته – بالتمسك بدين الله – انطفأت فيه مكامن الشر وكادت مداخل الشيطان فيه أن تغلق(وائل بشير، ٢٠٠٥، ١٣٤)

فمدخل الشيطان إلى النفس عن طريق الوسوسة والنزغ ليقع في المعاصي وهي سيدة الوسائل التي يعتمد عليها، ذلك أن النفوس الإنسانية خلقت وبداخلها نوازغ الشر والخير فطرة فطر الله الناس عليها مثل البخل والأنانية والجبن، فيعمد الشيطان لكل إنسان من خلال مدخله الذي يتناسب مع نفسه ويغذي فيه هذه المثالب ليحرضه على الشر الذي يلائمها.

ونجد كاسونا في مسرحية "مركب بلا صياد" قد أبرز هذه النزغات الخفية الغير مباشر من خلال ريكارود وجشعه، فقد بدأ حياته لاهثا خلف الكسب الحرام ولو اتبع أحقر الوسائل دون اكتراث للقيم أو الأخلاق، ودينه هو الماكيافللية في أحط صورها، واتخذ كاسونا ريكاردو نموذج لقطاع عريض من الرأسماليين وكأنهم ثمرة مباشرة للشرور الداخلية التي تفرزها النفوس الضعيفة التي تتبع هواها .

ومن العجيب أن ذلك الرأسمالي ريكاردو قد ذاق مرارة الفقر والحرمان في طفولته وعندما أثرى لم ينظر للفقراء نظرة رحمة، بل اتبع شهوات نفسه وتعامل مع الفقراء الذين نشأ بينهم مثلما فعل به الرأسماليون من قبل .

الرجل : حينما كنت طفلا فقيرا تتجول على أرصفة الميناء باحثا عن موزة فاسدة لكي تسد بها جوعك، وبعد ذلك بثلاثين سنة أصبحت تلقي في مياه البحر بمئات العربات الكاملة من الموز حتى ترفع سعره، أي أثم يمكن أن يطلق على هذا العمل ؟

أولئك الأطفال الجياع الذين ما زالوا يتجولون على أرصفة الميناء .(مركب بلا صياد:٧٧)

ومن هنا نجد أن كاسونا يحاكم الرأسمالية على جرائمها اللا أخلاقية في شخص ريكاردو ذلك أنهم تناسوا ضمائرهم وأخلاقهم من أجل أن يزداد الأثرياء ثراء من معاناة وفقر الفقراء

الرجل : إن مؤسستك يعمل فيها ثلاثة آلاف رجل لا يستنشقون كل يوم إلا غاز المناجم ودخان المعامل، وتدل الإحصائيات على أنهم يموتون من أجل ذلك في سن تقل خمس سنوات عن مستوى السن الطبيعية التي يموت فيها الرجال، ويمكن باختصار أن نقول أنك قصرت عمر البشرية مائة وخمسين قرنا من الزمان ! رقم جميل أليس كذلك . (مركب بلا صياد : ٧٨)

فنجد ريكاردو هنا يبرز بجلاء الأنظمة التي تعبد المال فقط تدهس كل من يقف أمامها، فالشركات تقوم على كد العمال لكنها لا تهتم بهم لأنهم بكل بساطة متوفرون وبكثرة فموتهم أو مرضهم لن يعوق مسيرتهم ،وكذلك لأنهم تجار في السوق فالعمالة التي أفقرتها الأنظمة اضطرتها للخضوع لتكون وقودا للسادة يرقون بأشلائهم ويثمنون من دمائهم ويسعدون بفقرهم، إنها النزغات الشيطانية في أوج ظهورها، فلا العامل يرفض، ولا صحته تتحسن، ولا الأغنياء يشبعون، ولا اللعبة تتكشف، دوائر تتقاطع بنزغات مرأية خفية لكنها كعربات القطار ما إن تتحرك يجر بعضها بعضا وويل لمن يقف في طريقها ستسحقه .

أما في مسرحية "الشيطان مرة أخرى "نلحظ أن الكاتب قد أبرز بعضا من النزغات الداخلية في نفوس أشخاصها وذلك بأن عمد لتضخيم بعضا من المسالب الذاتية لدى الشعوب وحكامها فالفقراء في المملكة معظمهم مطية لجور وطغيان الحكام ولا يفكرون إلا عندما تشتد الأمور تعقيدا ويشتد الفقر وتنتشر الأوبئة ففكرة الثورة هي المخلص والبديل للحياة البائسة التي يحيونها وحتى من يتمرد من الفقراء يحترف السرقة ويقطع الطرق على بني جلدته من المعوزين الجياع المرضى، ولا يصوب سهما لظالم بل إلى من يقدر عليه وليس له شوكة يرد بها ظلمه، وفي أعلى الهرم ملك عابث جاهل غشوم يدير الأمر عن طريق تصدير الأزمات لإلهاء الأمة عن أحوالها الكارثية بدلا من التصدي لها ومعالجتها، فعصابة قطاع الطرق التي هي من نسيج الشعب والتي تعرف جيدا مدى الفقر والمرض والجهل الذي تعانيه الجماهير بدلا من أن تساعدها، أطاعت هواها واحترفت اللصوصية وقطع الطرق لتسرق الفقراء فتزيدهم معاناة وفقرا على فقرهم وتترك الأغنياء حتى أنهم

جردوا الطالب الأسباني من أمواله وطعامه، وكذلك ابنة الملك التي تعيش في رفاهية وغنى فاحش تشعر بالملل من حياتها وتطيع هواها في البحث عن مغامرة لا تحسب حسابها فقط من أجل شهوة التجريب الداخلية مهما كلف الأمر.

وكل هذه التصرفات العبثية ما هي إلا صدى لنزغات النفس الداخلية أو قل الجبلية الفطرية التي تركت شخوصها أنفسهم على سجيتها وتحالفت مع نزغات الشيطان لتبرزها وتغلب قوى الخير فيها .

المربي : حرب صغيرة أخرى ،فكر في الأمر على مهل يا سيدي، قادة جيشك يحتجونها منذ عشرة أشهر وحتى لا يصعد أحد منهم، من جهة أخرى الشعب يعني جوعا ووباء، ويخشى من حدوث ثورة، الوباء والجوع لا يُحتملان وقت السلم، لذلك سيكون المناسب البحث عن مخرج مطهر لطباع الشعب الرديئة لحمله على الحرب .

الملك : ياللشيطان . هذا صحيح ! مخرج مطهر. (الشيطان مرة أخرى : ٦١)

ثالثا : مظاهر النزغات الشيطانية :

إن الكاتب قد عمد من خلال مسرحيته للتركيز وبقوة على فكرة أن الحب والخير والتسامح هم أسلحة الإنسان في التصدي لنزغات الشيطان المباشرة وغير المباشر وكذلك عصيان شهوات النفس ونوازغها الشريرة والتي لو اتحدا معا سيولدان مظاهر آثاما أعظم من شر الشيطان وكيده كالقتل والخيانة والحرمان والغضب و.....

ولما كانت الجرائم الحسية هي النتاج المباشر لنزغات الشيطانية ذلك أن الأثر قطعا يدل على المسير فقد أبرز كاسونا بعضا من مظاهر النزغات في مسرحيته وهي .

١- سفك الدماء بغير حق :

إن شهوة القتل في النفس من أعظم الشهوات التي فطر الله النفوس عليها وهي باب لو ولجه الإنسان فإنه قد ورط نفسه فيما لا يمكن الفرار منه ذلك أن القتل بهدم حياة وجسد إنسان آخر من الأمور التي لا يمكن إصلاحها ولا توبه منها إن كان بغير حق، وقد حذر الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – من الوقوع في هذه الكبيرة العظيمة وأنها أول الجرائم التي يحاسب الله الخلق عليها يوم القيامة فقال : عن عبد اللَّهِ قال: النبي –صلى الله عليه وسلم – "أَوَّلُ ما يُقْضَى بين الناس في الدِّمَاءِ."، وذلك أن التوبة مفتوحة أبوابها إلا للقتلة بغير حق فقال أيضا " لا يَزَالَ الْمُؤْمِنُ في فُسْحَةٍ من دِينِهِ ما لم يُصِبْ دَمًا حَرَامًا ." (وائل بشير، ٢٠٠٥، ١٣٤)

وقد أتخذ كاسونا من القتل عُمد أساسية في مسرحيته للتأكيد على أنهما من أعظم الجرائم التي يمكن أن يرتكبها الإنسان فتحدث عن القتل الصريح بسفك الدماء مباشرة وكذلك التلميح بالقتل من خلال الموافقة والرضا عن الفعل ففي مسرحية "مركب بلا صياد " القتل المباشر نتيجة الحقد والكراهية من كريستيان لبيتر أندرسون بسبب منافسة قديمة بينهم على حب إستيلا والمنافسة في الصيد والرزق .

إستيلا : لماذا يا رب جعلت أختي و ابنها بيني وبين القاتل ؟

ريكاردو : ولكن عمن تتحدثين ؟

إستيلا : عن كريستيان . (مركب بلا صياد: ١٧٠)

فمعرفة إستيلا لقاتل زوجها عزلها عن أختها وسلط عليها عذاب لا يطاق، بينما الأخت لا تعرف مصدر هذا العذاب، وبعد ضغط فريدا عليها تكشف إستيلا عن شكوكها بكريستيانة زوج أختها فتغادر فريدا البيت محطمة الفؤاد، فالقاتل والقتل هو من فرق بين الاختين وحطم آمليهما وبعدما كان يملاء قلبيهما الهدوء الذي كانا يعيشان فيه .

فريدا: ما الذي تريدين لي أن أنتظر ؟ إنني حينما خرجت من بيتي تركت هناك رجلا كان مستودع إيماني كله، رجل كنت أستطيع تقبيلي والسعادة تغمر نفسي، والآن أعود حاملة صمتا حزينا يلقي بالبرودة الثقيلة على مائدة طعامنا . (مركب بلا صياد :١٢٦)

وقد صور كاسونا الرضا عن القتل عن طريق الإرادة والنية والتربح من الموافقة عليه بعودة الثروة والنفوذ إلى يد ريكاردو والقضاء على منافسه يوشع مندل الشخصية الغائبة في المسرحية ورجوع عشيقته إليه، ذلك أن نية القتل والرضا في نفس ريكاردو كفيلان بجعله شيطانا في ثوب آدمي قد أرتكب كل الشرور والآثام في الأرض ذلك أن صحيفته حافلة بجميع أنواع الشرور عدى القتل والأهم في نظر الشيطان الإرادة والنية لا الفعل الحسي فقط .

الرجل : اعزم أنت على القتل، وسأتكفل أنا بالبقية .(مركب بلا صياد:٨١)

أما في مسرحية "الشيطان مرة أخرى" فقد صور كاسونا مجموعة من قطاع الطرق فقد استباحوا قتل الفقراء والأبرياء بغير حق وإرهابهم وقذف الرعب في نفوسهم، والعجيب أنهم يتفاخرون بآثامهم ويصفون أنفسهم بالشهامة والشجاعة، رغم خستهم في تعاملهم مع الأبرياء، وهذه من أحط صفات الصعاليك، حتى نظرتهم للقوانين التي تعاقب المجرمين على جرائمهم تناولوها بسخرية شديدة .

بالدوبينوس : لا شيء، القانون الجزائي، " يضع الكتاب على المدفأة ويتوجه لينضم إليهم "، كنت أتصفح فصل عقوبة الإعدام، أمر مفرح . (الشيطان مرة أخرى :٩١)

فالقتل وسفك الدماء والغدر والظلم والعدوان على الأبرياء في نظر رجال العصابات أمور عادية تسبب لهم الفرح والسعادة وهو أمر مضاد للفطر السوية التي يهزها بشدة قطرة دماء تسيل بغير حق

٢- شهوة الخلود والملك :

الخلود هو المدخل الذي نفذ الشيطان منه إلى نفس آدم وحواء ليغويهما ويخرجهما من الجنة، بأن يصيرا كالملائكة لا موت يصيبهما ولا فناء، وهو ما يرشح لطول ملكهما في الجنة والتمتع بنعيمها الأبدي من دون عناء، وورث آدم ذريته من بعده حب الخلود وطول العيش في الدنيا وعدم الرغبة في التخلي عما في يديه من ملك وأموال ونفوذ قال تعالى : " يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون ." (البقرة : ٩٦) وهاتان الشهوتان في النفس من أعظم أبواب النزغات الشيطانية التي يدخلها الشيطان في النفوس ، وإذا كان آدم أول من أبتلي من هذه الناحية والذي كان يجهل تلك النزغة الشيطانية، فقد ورث ذريته الرغبه في الخلود وزينه الشيطان لهم، نفخ في أنفسهم شهوة التملك والعلو وحب البقاء، وهاتان من أعظم نقاط الضعف في النفس البشرية التي جبلوا عليها، فمن أطاع هواه بحب الخلود وطول الأمل واستسلم لنزغات شيطانه فتح على نفسه أبواب الشر على مصرعيها، ومن عالجها بالزهد في الدنيا وحب الآخرة أغلق باب الشيطان وقتل نزغاته داخل نفسه

وقد عبر كاسونا عن هاتين النزغتين في مسرحيتيه ففي مسرحية "مركب بلا صياد" نجد ريكاردو يتحالف مع الشيطان ويوقع بيديه على وثيقة قتل إنسانيته داخل نفسه من أجل بقاء ملكه وثروته ونفوذه غير آبه بمن يدفع الثمن من الضحايا، حتى وإن كان لا تربطه بالضحيه علاقة ولم يسبب له ضررا، حتى وإن أفسد حياته ودمر أسرته، فقال جامدا للشيطان عن صفقاته منكرا للرحمة في قلبه بل ومتهما لها بالسذاجة : القلب ناصح مفسد لصفقات رجال الأعمال. فريكاردو مقاتل بشراسة من أجل طول الملك وبقاء ما في يده من نفوذ وسلطة لأطول فترة ممكنة دو النظر لأية اعتبارات أخرى.

أما في مسرحية "الشيطان مرة أخرى" نجد كاسونا قد رسم وببراعة شديدة صورة لطبقة الحكام والملوك الذين لطول بقاءهم في عروشهم ظنوا أن الخروج منه محال وهاجسهم الأكبر طول البقاء والتشبث به، فالملك الأبله في هذه المسرحية لا يملك من مقومات السلطة إلا طول البقاء فيها يعاونه في الحكم بطانة فاسدة تعمل على تحقيق رغباته وأوامره دون تفكير أو مراعاة لمصالح الجماهير، المملكة على شفا الإفلاس وانتشر فيها الفقر والجوع وضربها الوباء والسلطان في غفلة

يرى أن الخرافة هي الحل في صرف أنظار الجماهير فأطاع نزغات الشيطان ليزيد الأمور تعقيدا لا ليحلها وليجد المبرر والدافع للبقاء في سدة الحكم روج أن الشيطان هو من صنع كل تلك الأزمات، ولا بد أن يقتل لتنتهي المأساة وهو عمل خرافي وكذلك لكبح جماح القادة والجنود قرر خوض معركة لا طائل منها اللهم إلا إلهاء الجماهير والجيش، وليبرهن لهم على وطنيته عقد الشرط المستحيل بقتل الشيطان ثمنا لمن سيزوجه ابنته ويجعله وليا للعهد، أمور عبثية تجري بأشكال متعددة عند أحادي الفكر من الحكام الذين لا يرون غير كراسيهم وطول ملكهم يقدمون له كل القرابين وحتى شعوبهم لتكون الكبش والفداء لشهوتي الملك وطول البقاء .

الطالب : أتذكر النداء الذي أمرت بإذاعته أمس ؟

الملك : نعم أذكره جيدا، وفيه عرضت مملكتي ! لمن يقتل الشيطان .

الطالب أنا قتلت الشيطان في هذه الليلة وفي هذا المكان ذاته وبخنجره وعليه دمه .

الملك : "تخور قواه " . أسمعت ذلك أيها المربي .

المربي : أهدأ يا سيدي . (الشيطان مرة أخرى : ١٢١)

إن صدمة الملك من تحقيق شرطه المستحيل ودفع مملكته ثمنا له أمر أصابه بالذهول، وربما هو من دبر حيلة قرع الأجراس بعدها ليبرهن أن الشيطان لم يقتل ليتأمر مرة أخرى من أجل كرسييه وبقاء عرشه وطول حكمه .

الملك : " مرتجفا " الشيطان مرة أخرى !! من يقرع هذه الأجراس.(الشيطان مرة أخرى :١٢٢)

٣-فتنة النفس بالمال :

المال هو عصب الحياة في كل العصور والأزمان وإن أتخذ أشكالا وصور شتى، فبدأت البشرية بتبادل السلع لقضاء مصالحها في أول الخلق ثم تطورت صور الأموال بسكها على هيئة نقود، إلا أنها وإن اتخذت هذه الصور والأشكال قد ترجمت وبقوة حرص الإنسان عليها وأن المال حبيب للنفس فهي ضنينة به لأنها تظن أنه سيخلدها لما له من وهج وبريق يزينه الشيطان بنزغاته لضعاف النفوس ليطغوا، لذا أتخذه الشيطان وسيلة لإغوائه قال تعالى : " ويل لكل همزة لمزة، الذي جمع مالا وعدده، يحسب أن ماله أخلده ." (الهمزة : ١-٣).

وقد حفل التاريخ الإنساني بقصص شتى لكثير ممن أهلكتهم شهوة المال والحرص عليه عن أبي هريرة أن رسول الله- صلى الله عليه وسلم - قال : " يقول العبد : مالي مالي، إنما له من ماله ثلاث : ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس."(مسلم بن الحجاج النيسابوري، د.ت، ٢٢٧٣).

وقد تناول كاسونا هذا الفكر وبقوة في مسرحية مركب بلا صياد عندم تعرض لريكاردو برأسماليته ونهمه للمال والتنافس عليه بكل الوسائل اللا أخلاقية حتى وإن أهلك منافسيه وقضى عليهم، فكان عقابه ونكبته التي نفذ الشيطان إليه منها هي ضياع كل ما جمعه في حياته على يد منافسه ذلك اليهودي مندل الذي علمه ريكاردو كل الطرق القذرة لجمع الأموال فرد إليه الجميل بأن دمر أسهمه في البورصة وهز موقفه المالي في البنوك وزيادة في إذلاله أخذ منه عشيقته وحتى آبار البترول التي بحوزة ريكاردو تعرضت لانقلاب عسكري ومهددة بالضياع، إلا أن الشيطان أعاد إليه روحه – المال – بصفقة القتل التي ارتضاها وزيادة في الشر قلب الطاولة على مندل ذلك الذي رمز وبقوة لدهاقنة المال من اليهود وأنهم أصحاب السلطة المطلقة في الأعمال القذرة للثراء وكأنه يقول له إنه بقبول غوايته سيغير له موازين القوى العالمية التي قامت عليها المجتمعات في العصر الحديث

أنريكيتا: لا تنس أنه لا يهمهم كثيرا مدى ما يصيبهم من خسارة، فهم لا يهدفون إلا إلى تحطيمك أنت، إنها ليست شركة تسعى إلى خدمة مصالحها، بل هو رجل يحمل لك عمق الكراهية : يوشع مندل .

ريكاردو : يوشع مندل ! إنه تلميذ مغرور، أن أول ما خاضه من صفقات قذرة في حياته، إنما تعلمه على يدي أنا ! وسوف أريه كيف يحترم أستاذه (مركب بلا صياد :٥٩)

لكن ريكاردو بعدما عادت إليه سلطته ونفوذه وأمواله وفهم أن الدنيا أكبر بكثير من صفقات قذرة تخلت عنه في أول أزمة لم يعد ينظر للمال نظرته الأولى، بل أنه أخذ يفكر في معان أسمى وهي الحياة والموت والخير والشر.

وإذا كانت كثرة المال مطغية للنفس نافثة فيها شهوات الكبر والغرور والكنز والمنافسة فإن قلة المال هي الأخرى هي فتنة مزلزلة للنفوس التي ما عمرها الإيمان وهذبها الرضا فترى الشر يأكلها بنيران الحقد والحسد ،فقد رسم كاسونا صورة للحقد والكراهية التي أكلت قلب كريستيان من بيتر أندرسون منافسه التقليدي، إلا أن تفوق بيتر عليه في العمل والزواج والمال وإن كانا في وضع اجتماعي واحد فقراء لم يشفع له ألا يقتله ليشفي غليل صدرة ويطيع نزغات شيطانه، رغم أنه بقتله لبيتر لم يجن من ذلك ربحا ولم يتزوج امرأته التي أحبها ولم يحز مركبه التي حسده عليها .

فريدا : كانا يتشاجران اليوم ويعودان للتعانق غدا .

إستيلا : ثم كان بعد ذلك صراعهما على مركب الصيد، كان الاثنان يحلمان بنفس الشيء وكانا يعملان بياض النهار وسواد الليل حتى يتمكنان من بلوغ الأمل، ولكن المركب كانت في النهاية من

نصيب الذي عمل أكثر من صاحبه، والذي كان أحوج منه إليه، وفي ذلك اليوم تشاجرا للمرة الأخيرة، ولكنهما لم يعودا بعد ذلك إلى العناق، كان هذا في الليلة التي مات فيها بيتر . (مركب بلا صياد : ١٢٣) .

أما في مسرحية "الشيطان مرة أخرى" نجد كاسونا قد رسم صورة اجتماعية سيئة للمملكة وأفرادها نتيجة الفقر وانتشار الأوبئة بأن لجأ فريق من الناس لاحتراف السرقة وأصبحوا قطاعا للطرق لا يأبهون لفقر واحتياج الفقراء بل تسلطوا عليهم بالنهب والسرقة حتى أنهم جردوا الطالب الأسباني من أمواله وطعامه، وعندما أقنعهم أنه معجب بهم ،فوعدوه أن يضموه إليهم ليكون لصا معهم، وكأن اللصوصية هي حلم البسطاء للحصول على الأموال لا ممن نهبوهم بل من أقرانهم الفقراء ليزدادوا فقر ومعاناة ،فهؤلاء اللصوص الصعاليك قد زينوا لكثير من العوام فكرة اللصوصية والنهب وأنها نوع من أنواع الشجاعة والمهارة فحرضوا كثيرين ليكملوا مسيرتهم الإجرامية ويتسلطوا على أرزاق ورقاب العباد، الحق أن ما فعلوه ويفعلوه يمثل أحط أنواع النذالة والخسة فأية شجاعة في نهب الضعفاء والعدوان على الأمنين؟

إلا أن شحة المال في المملكة هي الباعث والمحرك للفوضى فيها، فشعب فقير معوز هو ضحية لجشع الحكام وفتات يتقاتل عليه الفقراء هو دليل نهب وسرقة الملك وحاشيته لأقواتهم.

القائد : صعب جدا أن نسلب الأغنياء فهم يحتمون جيدا .

فارفان : اقترحت أن نسلب الفقراء .

كلوتالدو: سرقة الفقراء !

القائد : نعم يا رفاق. إنه مورد مسعف جدا، كل الناس يقومون به . (الشيطان مرة أخرى:١٨)

فالمال في ذاته سلاح ذو حدين، فإن حسن استخدامه كان محمودا، وإن ساء استخدامه فهو مذموم والشيطان دائما يستخدمه ليميل بنفوس الناس عن طريق الله ،ويشعل بينهم الأحقاد والأضغان ويولد العداء بسببه، عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قال_ رسول اللَّهِ صلى الله عليه وسلم – .:" تَعِسَ عبد الدِّينَارِ وَالدِّرْهَمِ وَالْقَطِيفَةِ وَالْخَمِيصَةِ إن أُعْطِيَ رضى وَإِنْ لم يُعْطَ لم يَرْضَ ." (محمد بن إسماعيل البخاري، ١٩٨٧، ٢٣٦٤)

٤-الغضب والعصبية الباطلة :

إن الغضب والعصبية من أعظم مسالك الشيطان إلى نفس الإنسان لنشر نزغاته فيها، فهما صفتان متلازمتان لا انفصال لهما في نفسه لولوج الشيطان إليه، جاء في الحديث: " إن الغضب من الشيطان " فيخرج به الإنسان من اعتدال حاله فيتكلم بالباطل ويرتكب المذموم ويضمر الحقد

والبغضاء وغير ذلك من القبائح المحرمة." (أبو زكريا النووي، ١٩٨٤، ١٨)، وأشد من ذلك يورث العصبية الباطلة فيعرف الإنسان الحق فيغمض عينه عنها ويطيع شهواته مما يفسخ الأواصر بين الناس وينشر العداوة والبغضاء، وهما من أعظم أهداف الشيطان .

عن أبي الزُّبَيْرِ عن جَابِرٍ قال: قال رسول اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم–: ." إِنَّ إِبْلِيسَ قد أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ وَلَكِنْ في التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ ." (أحمد بن حنبل، د.ت، ٣٦٦)

وقد عبر كاسونا عن هذه العصبية الباطلة والغضب الشديد بالباطل في شخص ريكاردو وقدمه وجها فجا سلطويا متعجرفا، فأمواله ونفوذه منحتاه السلطة المطلقة فاتخذهما درعا وسيفا قاتل من أجلهما وتحالف مع الشيطان وأطاعه في خطيئته الكبرى بهما، وكأنه آلة جبلت على نهب الأموال من أشلاء البشر .

إن فكرة النفعية المطلقة والتعصب لها دون قيم أو أخلاق تهذبها هي عنوان الرأسمالية اليوم في عالم بلا مشاعر، حتى بعدما مني بأكبر هزيمة في حياته ترجمها تلميذه مندل الذي عاقبه بنفس العصبية والنفعية التي تلاقاها منه، وكأنها رسالة تحذير للرأسماليين جميعا ألا يثقوا إلا في مصالحهم، وأن الشر والخيانة لن تنبع دائما إلا ممن وثقوا فيهم وألا أمان إلا في أحضان الشيطان الذي يقود أرواحهم إلى الجحيم .

ريكاردو: " وحده مهمهما وهو يصرف على أسنانه من الغيظ " جبناء جبناء ! وهي أيضا (مركب بلا صياد : ٦٩)

كما قدم شخصية كريستيان ليبرهن أن نزغات الشيطان لا تطال فئة دون أخرى، وأن الشر الإنساني في النفس والذي ينفثه الشيطان فيها يجعل البسطاء يحسدون ويحقدون على بعضهم البعض من أجل متاع حقير لا يستحق العناء، إن كريستيان قد نشأ وتربى مع بيتر أندرسون وشبا معا ولكن الحقد والكراهية ملأت نفسه لأنه بيتر كان الأندى صوتا في صلوات الكنيسة وكان الأوفر حظا في الصيد واختارته إستيلا زوجا لها عليه، وحتى عندما تنافسا في صنع القوارب كد بيتر في عمله فخرج قاربه الأفضل، والعجيب أن القتيل ما أضمر شر قط لقاتله فقد كانا يتشاجران ويسامحه بيتر وكان يدنيه من داره ويكرمه ولم يشفع له ذلك كله ولم يطفئ نيران الحقد في نفسه فقتله عصبية وحمية وغضبا عليه .

لكن هذه النيران المضطرمة في الأنفس لا يردعها إلا الحب والمسامحة، ذلك أن الغضب بما يثيره في النفوس من كوامن الشر فيها يفقد الإنسان القدرة على كبح جماح نفسه وربما قاده تهوره نحو الهلاك، فعن حميد بن عبد الرحمن عن رجل من أصحاب رسول الله – صلى الله عليه وسلم– قال

: قال رجل: أوصني يا رسول الله . قال : "لا تغضب" قال الرجل : ففكرت حين قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – ما قال فإذا الغضب يجمع الشر كله.(معمر بن راشد الأزدي، ١٤٠٣هـ، ١٨٧)

فبيترأندرسون البطل الحاضر الغائب في المسرحية قد وصل لقمة السلام النفسي والتصالح مع الذات بإن قهر غضبه وانتصر على شيطانه وأطلق قوى الخير والحب في نفسه رغم ما يكابده من إيذاء نفسي وجسدي من صديقه اللدود كريستيان إلا أنه جابه شيطانه بالتسامح والحب.

إستيلا : إن بيتر لم يكن لديه إلا عبارة واحدة يقولها لكل من يأتون إليه : " هذه هي مائدتي، وهذا هو تبغي، وتلك هي داري، وكل هذا أضعه بين يديك .".(مركب بلا صياد :١٣٣).

أما في مسرحية "الشيطان مرة أخرى" نجد أن كاسونا قد برع في رسم صورة لعصابة قطاع الطرق الذين خرجوا من نسيج المجتمع من فقرة وضيقه وابتلوا بالأوبئة والأمراض فزادتهم فقرا ومرض، وبدلا من الثورة على الفاسدين والمطالبة بحقوق ذويهم من المحتاجين أطاعوا نزعات الشيطان الذي نفخ فيهم روح الحقد والغضب والعصبية الباطلة للشر فكونوا عصابة ليتسلطوا على الفقراء واختلقوا لأنفسهم أعذارا تافهه ليبرروا فسادهم وعصبيتهم الباطلة للباطل.

فارقان : نحن لا نستطيع الاستمرار هكذا يوما آخر، الأعمال هي الأعمال وقطع الطريق هنا ليس لها مستقبل .

القائد : لا كرامة لنبي في أرضه، ماذا تريدون أن تبرروا خوفكم، لاحظت ذلك منذ مدة، تريدون أن تتخلوا عن حياة البطولة، وتعودوا إلى بيوتكم إلى المجتمع، وا خجلاه، أنسيتم ما هو المجتمع ؟ إنه حظيرة خنازير غطت عليها الأخلاق والشرف، الطرق واضحة جيدا، ليبق هنا من يدافع عن العدالة والحق، أما الآخرون فليذهبوا ليذوبوا في الكتلة المغفلة . انصرفوا ! انتهت الجلسة (الشيطان مرة أخرى:١٣).

ومن العجيب أن العصبية للباطل التي مست أفرادا فتنمروا على أهليهم نهبا وإفسادا لم تجابهها المملكة ولم تتصدى لها، بل تغافلت عنها حتى أن ابنة الملك طمحت للتعرف على البطولة الزائفة لديهم، وكأن السلطات الفاسدة في الممالك الباطلة تعمد لخلق أزمات تختلقها أو تتغافل عنها لتظل الشعوب في دوامة الفكاك من الأزمات التي لا تنتهي، وهم بذالك صاروا شياطين يوسوسون للشر أن يتسلط على رقاب وأرزاق العباد في صور أمواج تتابع صعودا وهبوطا لتظل الأمور على نسقها فساد في قمة المملكة وإلهاء لعوام الناس بالتغافل وتصدير الأزمات .

٥- الكبر والغرور :

هاتان هما الصفتان اللتان أخرجتا إبليس – لعنه الله – من مقامه عند الله، فقد بدأ سيرته الأولى طائعا ناسكا عابدا حتى لقب بطاووس الملائكة لقربه ومنزلته من الله، فلم خلق الله آدم –عليه السلام – حسده على منزلته ومكانته من الله فاستعظم قدر نفسه ومنزلته فقال – تعالى– حاكيا عن فساد نفسه وعلوه بالباطل عن أمر الله ." وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ." (البقرة:٣٤) وقد توعد الله المتكبرين بالذل والخسران في الآخرة ." يحشر المتكبرون في نفوسهم على عباد الله يوم القيامة كأمثال الذر ذلة وصغاراً وذلك لما ظهروا به في الدنيا من التعاظم والتكبر ."(محيي الدين بن الطائي، ١٩٩٨، ٣٣٤)، ولما كانت النفس قابلة للتوجيه إن خيرا فخير وإلا فالشر حليفها، فقد اتخذ الشيطان من نزغة الكبر مسلكا لقلب وعقل الإنسان ليضله عن سواء السبيل، ذلك أن الذي لا يرى إلا نفسه ويستعظم قدرها ويتطاول على عباد الله هو شيطان يمشي على قدمين ينشر الحزن والحسد والكراهية

وقد رسم كاسونا صورة واضحة لهاتين النزغتين في مسرحيتيه ففي مسرحية "مركب بلا صياد" نجد أن ريكاردو بلغ به الحد من العلو والكبر أن يتفاخر بمقدرته على شراء كل شيء وإخضاع من حوله قهر سطوة ماله ورغباته رافضا عروض من حوله للصلح مع منافسه اليهودي مندل وأنه يستطيع أن يتحكم في الأمور، رغم تخلي كل من حوله عنه من رجال المال والأعمال والبنوك وشركاء البورصة وحتى عشيقته جذبها سطوة منافسه مندل وتركته لا رغبة فيه بل طمعا في قهر وغلبة السلطة والمال في يديه التي انتزعها من ريكاردو.

ريكاردو : لقد قمت أنا بنفسي بمثل هذه المضاربات من قبل، وأعرف الوسائل التي تتبع لإحداث هذا الهبوط الفجائي المصطنع في أسواق الأسهم والسندات : " شراء الصحافة، وناشروا الذعر والمأجورين، والاشاعات التي تبث القلق في أوساط المساهمين، فأنا أعرف وسيلة واحدة في الصراع إما الكل وإما لا شيء . هذه هي كلمتي الأخيرة . (مركب بلا صياد: ٦٥)

وفي مسرحية "الشيطان مرة أخرى" نجد الكبر في أوضح صوره لدى الملك ذلك الأبله الذي لا يعي من أمور الحكم إلا أحداث المؤامرات والوقيعة بين أفراد الشعب وينظر إليهم نظرة دونية، وكذلك لا يفهم إلا حالة ابنته وتلبية رغباتها، وهو يرى أنه الأجدر بالملك لذلك يعقد الشروط المستحيلة لمن يريد أن يخلفه في ملكه، بقتل ملا يمكن قتله – الشيطان – ويعلق بهذا الشر مستقبل المملكة فهي مستهدفة من قوى الشر الكبرى ولا يمانع التضحية بالجيش والشعب في حروب لا طائل منها اللهم إلا لإلهاء الشعب، صورة فجة للنرجسية، فهو أحادي الفكر طغى على قلبه وعقله الكبر والغرور .

الملك : "أنا لا أفهم في التربية، لكن عليَ أن أصدر تحذيرا . لا عذر لكم في أن تضعوا في كتب تربية الأمراء عبارات مثل حكومة المملكة، سعادة المملكة، سخافات المملكة، أمام ابنة الملك . يحذر هذا . لا حاجة بي كي تسمع ابنتي هذه الكلمات السخيفة . هذا أمري أيها السيد المربي ". (الشيطان مرة أخرى : ٦٧)

فكاسونا لخص أزمة المملكة في ذلك الملك الغشوم الذي لا يفقه أمور الملك لكنه يتقن وببراعة تقمص دور الديكتاتور، فنجده في أول حديثه يحذر ملوحا باستخدام القوة الغاشمة –لا الحوار مع حاشيته في البلاط – بأن عصيان أوامره تستوجب العقاب المباشر، ويا ليته ممن يفقه ما يأمر به أنه يخشي من أن ينبت لابنته ضمير فتعمل قلبها في أمور الرعية، فأرادها مسخا مشوها من فكره السلطوي العفن، أرادها كتلة مشوهة من الشهوات بلا عواطف.: –"عليَ أن أصدر تحذيرا" .– "لا عذر لكم". مما يؤكد على تنامي الكبر والغرور في نفسه وعبادته لذاته واتخاذ إلهه هواه ." هذا أمري أيها السيد المربي."

فنجد أن الملك يتدخل فيما أقر بعدم فهمه له وهي التربية، لكنها عادة الدكتاتوريين في إدارة الأمور، وينقل لابنته خبراته التافه بأن تنظر بنظرة استعلائية للجماهير ومشاكلها، فهو يرفض الديمقراطية نهجا في حكمه فلا حكومة ولامشاورة إلا رأيه وعقله، وإذا فسدت أداة الحكم، فلا مستقبل ولا رؤية للشعوب فلا تحدثونا عن سعادة الشعوب، ولخص منطقه الغشوم لا تعلموها أن تهتم بأي شأن يخص المملكة وبرر ذلك أن أمور المملكة من السخافات، وكأنه أراد أن يوحي لها أنه سيعلمها أن تصدر الأزمات للمحكومين ليخلو الكرسي للحكام ويتفرغوا لأنفسهم وشهواتها.

٦–المرأة وحبائل الشيطان :

إن الميل بين الجنسين – رجال ونساء – فطرة فطر الله الخلق عليها منذ خلق آدم – عليه السلام – وخلق له حواء ليسكن إليها بجوارحه وتؤنس وحشته وتفرج همه، لكنها مع ذلك كانت ولا تزال من أعظم الأبواب التي يزين الشيطان من خلالها نزغاته لغواية الإنسان فإنهن مصائد الشيطان وحبائله، كم صاد بهن من معاف فأصبح أسير شهوته، رهين ذنبه، قد عز عليه الخلاص من فتنتهن، وكأن كاسونا قد استشرف القصة من أولها فكرة الغواية لآدم– عليه السلام – عن طريق نزغات الشيطان اعتمادا على حواء في تزيين الخطيئة بالأكل من الشجرة وعصيان أمر الله " لولا حواء لم تخن أنثى زوجها الدهر أبدا. لأنها ألجأت آدم إلى الأكل من الشجرة مطاوعة لعدوه إبليس وذلك خيانة له." (عبدالرحمن السيوطي، ١٩٩٦، ٨٠)، يقول بول ريكور: إن قصة غواية آدم لها وجهان بالفعل، فهي من جهة قصة لحظة السقوط، ولكنها في الوقت نفسه قصة الإغواء التي تحتل

فترة وردحا من الزمان، وتشرك عددا من الشخصيات عن طريق العقدة في نهي الله عن الأكل من الشجرة، والمرأة المفتونة بقصة الخلد الأبدي، والأفعى التي دخل من خلالها الشيطان إلى الجنة، فقد ارتبط سقوط الإنسان الأول – آدم – بفعل الإغواء الذي كان مصدره قوى الشر – الشيطان – فإن النتيجة واحدة هي السقوط.(المنجي بن عمر، ٢٠١٤، ٧٤)

ونجد كاسونا قد رسم صورة دقيقة للمرأة اللعوب في مسرحية "مركب بلا صياد" تلك التي اتخذها الشيطان منذ بداية المسرحية محركا وباعثا للصراع في حياة ريكاردو فاتخذها عشيقة له بإغواء الشيطان ليكمل بها خطاياه التي لوثته، لكنها ما أحبته بل أحبت ماله وسلطته ونفوذه، وكانت أول من خانته وارتمت في أحضان منافسه عندما رأت أن وهج المال والسلطة قد بدأ بالتفلت من يديه، ويا ليتها انتظرت حتى تتيقن من نهاية ريكاردو، لا لقد أفصحت وبشدة عن حقارة نفسها بأن أسرعت بالتواصل مع اليهودي مندل، دون النظر لأي اعتبار اللهم إلا مصالحها الآنية، وعقابا لها فإن الشيطان الذي استذلها لم يأبه لشأنها لأنها كأمثالها ممن سلمن جسدهن لقاء المال لن يضر استبدالها بعشيقات أخريات لو رحلت، لكن الشيطان الذي حاور ريكاردو عيره بها وأنه حتى في اتخاذه لأعوان من الفاسدين ما أحسن اختيار عشيقة، فقد فشل في استقطابها بماله وسلطته وشبابه، فقرر ريكاردو أن يذكرها بعهرها ووضاعتها وأنه ربيبة نعمته فترك لها سيارة أهداها إليها لتذكرها بنذالتها وغناه الدائم ولفظها إلى الشارع في رمزية مباشرة للضياع والليل والسقوط معلال ذلك بأنه ألتقطها منه فهي صنيعة الشيطان رخيصة في عينه حقيرة حتى على نفس الشيطان تافهة أدت مهمتها في الغواية ووطأها بقدميه كسيجارة احترقت ورميت .

ريكاردو : شكرا يا عزيزتي هذا ما كنت أنتظره منك، ولكني أنصحك بألا تكوني قليلة الصبر مع الآخر . كما كنت معي، فإنه من الحكمة أن ينتظر موت الدب قبل أن يتفق على توزيع جلده . في الشارع ستجدين السيارة . إنها آخر هديه أهديتها إليك

إنريكيتا : أأفهم من ذلك أنك تطردني إلى الشارع ؟

ريكاردو: لا . بل أتركك في المكان الذي التقطك منه، ابلغي تحياتي إلى مندل (مركب بلا صياد : ٩٣)

أما في مسرحية "الشيطان مرة أخرى" نجد أن كاسونا قد اتخذ من ابنة الملك رمزا لغواية الطالب الأسباني ليترك دراسته ويحترف الصعلكة وقطع الطرق ليحقق للأميرة حلمها بالارتباط بقاطع طريق، وحتى يزينها في عينيه أوهمهم أنه المخلص والقادر على قتل الشيطان في صورة تدل على أن المرأة مهما علا قدرها الاجتماعي أو سفل إنما هي من أعظم المداخل لنشر النزغات في نفوس

الرجال بخاصة الطامحين إلى السلطة والمجد لتكتمل بها سلسلة النزغات ليحكم الشيطان تحكمه في الإنسان، والمرأة الأميرة في هذه المسرحية جعلها بمركزها الاجتماعي والجسدي ذات فتنة عقلية ونفسية للعوام، وعظم والدها الملك من هذه الفكرة بأن جعلها جائزة لمن يطمح في المجد ورسمت حاشيتها للعامة صورة ذهنية عملت على تضخيم حلم الوصل إليها وأنها قاربت من كمالها وجمالها أن توضع مع آلهة الإغريق القدماء فينوس وأفروديت هؤلاء الذين سحروا عقول وقلوب الرجال في المملكة، إن كاسونا كعادته تماس مع الفكر الإسلامي في نظرته للمرأة وكأنه استشرف قوله تعالى : ." زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث، ذلك متاع الحياة الدنيا، والله عنده حسن المآب ." (آل عمران :١٤)ففهم أنها من أعظم أبواب النزغات وأنها حبائل الشيطان لإخضاع فكر وعقل الإنسان وكأنهن سحر أبتلي به الرجال بما يلقيه عليهن الشيطان من شهوة ورغبة تطمس على الإنسان عقله وفكره وتجعله أسيرا لها في مسايرتها .

الشيطان : جبان جبان . أتسمعني أنت، تعشق بغباء كلمات مهرج الأميرة عنها، تفكر بالحياة لكنك حالم، جاءت بالمنديل من أجل القائد، وخانته معك، وستخونك أنت مع ذكر آخر .

الطالب : ينتقل من الدهشة إلى الغضب . أتشتمها ؟ حذار ." يستل سيفه " دافع عن نفسك .

الشيطان : من أجلها أشهرت سيفك على الشيطان . وهذا نظير إشهارك إياه عليَ. (الشيطان مرة أخرى :٤٧)

ونجد أن كاسونا رغم كونه كاتبا محافظا إلا أنه ألمح للغواية الجسدية التي أغرى بها الشيطان الطالب الأسباني فحرضه مرات ومرات على تقبيل الأميرة وجعل من هذه القبلة الجمرة التي ستوقد في نفسه نيران الشهوات لينتهك عذريتها، وعظم أيضا من فكرة التلامس الجسدي هذه عند الأميرة، لكن الحب من عصمهما من السقوط من منارة الطهر التي يعتلونها، فعمد الشيطان لخداع الطالب بأن دس له في شرابه ما يغيب إرادته فكان هذه التلامس الذي حرك سواكن نفس الطالب نحوها وهمَ بها لولا أن تعاظمت عنده قيمتها وقدرها فتراجع وقيد نفسه ليقهرها ويقهر شيطانه معها .

الطالب : سرقت القبلة الأولى، وسأسرق القبلة الأخرى، وسأسرقك أنت ككل(الشيطان مرة أخرى :١١٤)

٧-الصحبة السيئة :

لقد خلق الله الإنسان اجتماعي بطبعه يألف ويؤلف ويميل للخلطة وتكوين المجتمعات، واتخذت هذه العلاقات الاجتماعية أشكال وصور شتى أرقاها علاقة الصداقة، ذلك أن الصداقة هي مؤاخاة

بين اثنين أو أكثر على غير نفع أو مصالح بينهم في معظمها، ولأن الصديق يشكل في نفس صاحبه ما يعجز عنه والديه، فقد كان للشيطان يد طولى في النزغ بين الأصدقاء بتحريضهم على الشر وإيقاع العداوة والبغضاء بينهم، فيوسوس للإنسان بمصاحبة الأشرار ومفارقة الأخيار ،ويرى (حمود السليم، ١٤٣١هـ، ١٨) أن " الصحبة السيئة تحسن القبيح وتقبح الحسن وتجر المرء إلى الخنا والرزيلة ذلك أن أخلاق السفهاء تعدي وقد حذر الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم – من تلك الصحبة «الرجل على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل» وقد رسم كاسونا صورة للصحبة السيئة التي تتبع نزغات الشيطان وتدفع شخوص مسرحيتيه للشر، ففي مسرحية "مركب بلا صياد" نجد ريكاردو قد زاد من قوى الشر في نفسه تلك البطانة الفاسدة التي اتخذها أعوانا وأصدقاء من حوله لا يرى إلا من خلالهم ولا يسمع إلا ما يلقونه إليه من شرور وآثام، فصاروا بحق شياطين يوحي بعضهم إلى بعض، ذلك أنه صادق المال والشر ولم يقرب إليه إلا من يزين له الربح والسلطة وقد طمس الله على قلبه فنهم المال لديه لا يكفيه حد ولا يردعه رادع وهم من حوله كخيوط العنكبوت يتخذهم بيتا وسندا، لكنهم من أوهن البيوت وقت الأزمات وعند الشدائد .

العضو الثاني : المساهمون يطالبون باستقالتك، فهذه هي الوسيلة الوحيدة لإنقاذنا جميعا .

ريكاردو: اذهبوا بجبنكم وخوفكم إلى مندل، فاركعوا بين يديه واستجدوا رحمته، أما أنا فلست أعرف إلا وسيلة واحدة في الصراع ،إما الكل وإما لا شيء، هذه هي كلمتي الآخيرة .

مدير البنك : ونحن أيضا سنقول كلمتنا . هيا بنا " يتخلون عنه ." (مركب بلا صياد :٦٩).

ونجدهم أنفسهم عند عودة المال والسطوة لريكاردو هم أنفسهم من يهرول ليقبل مصالحهم عند أقدامه لا حبا فيه ولا مصاحبة له بل تعلقا بالمال ووهج النفوذ فهم يدورون مع الفائز أينما دار دونما اعتبار لمن يتحالفون معه حتى وإن كان حليف الشيطان .

ريكاردو : ما الذي أتيتم تنشدونه هنا ؟ كلكم في شجاعة وبطولة جئتم لتساعدوا المنتصر ! (مركب بلا صياد : ٩٥)

وهي النتيجة التي أكدها ريكاردو في نهاية المسرحية فقد أقر أنه قضى عمره كله دون أن يخرج من بينهم بصديق واحد حقيقي .

ريكاردو: إلى أين سأتوجه ؟ لقد عرفت الآن أنني فقدن كل ثروتي،ليس هناك بلد يدعوني إليه ! ولا صديق واحد ينتظر مني العودة . (مركب بلا صياد : ١٨٤)

أما في مسرحية "الشيطان مرة أخرى" فنجد كاسونا وقد رسم صورة للصداقات الفاسدة التي جرت أصحابها إلى الجريمة واحتراف اللصوصية وقطع الطرق فقد تعاهد أفراد العصابة مع قائدهم على

السمع والطاعة وأن يكونوا عائلة واحدة، وهي من نتائج الصحبة السيئة التي يجرها الإنسان على نفسه، ثم زين الشيطان للطالب الأسباني نفس السبيل بأن يكون زعيما لهم ليحقق لابنة الملك رغبتها في الاقتران بزعيم عصابة، وكأن القيم والأخلاق التي يجب أن يقاتل الإنسان من أجلها صارت وصمة عار بسبب شهوات الأصحاب، وكأنهم بتجرئهم على الخير قد مهدوا للشر دولة وطريقا ليسود في مملكتهم، كل هذا رسمه الشيطان وزينه بنزغاته في قلوبهم وعقولهم عن طريق الأصدقاء والنفس، نزغات شتى نمتها الأهواء ورفقة السوء .

القائد : ألديكم أية شكوى ؟

فارفان : ولا شكوى ! أنت رجل عصابة كامل . ورفيق مخلص . أنت لنا أب حقيقي

(الشيطان مرة أخرى :١٢)

وهؤلاء الصعاليك هم إفراز طبيعي لتسيب الدول وسقوط هيبتها وسطوتها في نفس أفرادها، ذلك أن الممالك والدول العظمى هي وحدها من ترسخ في نفوس شعوبها قدسية القانون الذي يطبق بالعدل ويراعي مصالح أفراده، الدول التي تهتم بحل الأزمات لا تصديرها للأفراد، فيعمد الشيطان وقتها لضعاف النفوس فيغريهم بالعدوان والبغي على بعضهم البعض.

رابعا – القيم الإيمانية:

إن الإيمان من أعظم النعم التي وهبها الله الإنسان في الحياة ذلك أن القلوب تتأثر وبشدة بكل ما حولها وكأنها مرايا تنطبع فيها صور وأشكال العوالم الخارجية، ولأن القلوب غضة طرية لينة هينة فإن كسرها يسير هين وجبرها يحتاج لجهد شاق، فكان لزاما أن تصان هذه القلوب والنفوس كما أراد الله لها، أرادها في الصدور مغلفة داخله، وأراد لها الإيمان سياج خارجها يعصمها من تقلبات الدهر وغدر الناس

ولأن الكدر والغم متلازمان ببقاء الإنسان في الأرض لما فيها من تغيرات وتقلبات قال تعالى : " لقد خلقنا الإنسان في كبد ." (البلد:٤) ولما فيها من شياطين الإنس والجن، ولما غلفت الحياة من شهوات ونزوات، ولأن جبلة الإنسان هي الضعف والقصور الفطري الذي جبله الله عليه، كان الإيمان وحده هو السحر والطلسم في صد غوائل الدهر وتقلبات الزمان، كان هو النهر الذي يمحو بأمواجه أدران الشياطين ويثبت القلوب التي زلزلتها تقلبات الزمان .

ونجد أن كاسونا قد استلهم العديد من القيم الإيمانية ببراعة فائقة في مسرحية "مركب بلا صياد" فحشدها بالقيم الإيمانية مع دقة فنية في تصورشمولي إيماني للحياة، عمد فيها للتوازنات فصور ريكاردو في أول المسرحية بجشعه الذي ما تورع عن ارتكاب كافة الجرائم والآثام من أجل المال،

حتى صار أيقونة للشر في الأرض يباهي به الشيطان شياطين الإنس والجن وهو بهذا الوصف قد صار جسدا اعتمرته روحا خربة ما ذاقت يوما حلاوة الإيمان وذلك أن الأنفس بدون إيمان ما هي إلا كزبد البحر وإن علا وغمر الشطآن فهو هباء منثور لإبقاء له ولا قيمة تلفظه البحور وتلقي به الأرض فتبخره أشعة الشمس كأنها ما كانت، وذلك هو الشر في الأرض لا بقاء ولا عمر له .

وفي أقصى الأرض رسم صورة مخالفة لريكاردو، صورة ضبابية لبيتر أندرسون ذلك البطل الغائب الحاضر ،صياد قد ملأ الإيمان قلبه وفاض على أهل بيته رحمة وأمنا وسلاما وكأن نور الإيمان في نفسه وبيته من الوضوح بمكان حتى أنها لا تحتاج لتوضيح، فهم أهل بيت مؤمنون متحابون يعيشون السلام النفسي في أوضح صورة مع أنفسهم وكل ما حولهم من بشر وطبيعة، ذلك الإيمان الذي أورثه زوجته فجعلها من الحكماء الصابرين، ذلك الإيمان الذي فاض عليها فوثقت بما في يد الله وزهدت بما في أيدي الناس، وكأن شعارها إيماني ويقيني هما سلاحي في ظلمات الحياة، لكن جنته هذه ما خلت من حاسد تمثل في شخص كريستيان ذلك الشيطان الإنسي الذي حسده عليها وأعانه شياطين الجن، فبرغم فقر بيتر وضيق يده ،أشعلت النيران في نفس كريستيان فحقد عليه وتربص له وقتله .

وهنا تظهر براعة كاسونا في توظيف مقتل بيتر أندرسون في جعلها النقطة المحورية في كشف الحجب عما غمض في مسرحيته، فنكتشف أن الممثل الرئيس للرأسمالية في المسرحية والذي طغت المادية على فطرته، كان مقتل بيتر مفجر في نفسه كوامن الخير التي دفنها لعقود بداخله ويرى (عماد الدين خليل،١٩٨٣ ،٨٨): " أن الشيطان في مسرحية "مركب بلا صياد" يثير صراعا عميقا في ضمير البطل ووجدانه، هذا الصراع تمثله صرخه عذاب في أعماق ريكاردو، فتقوضه من الداخل، وتشطره شطرين حيث يبلغ الصراع أقصاه فما من شك أن الإنسان المنقسم هو أشد المتأزمين في الأرض عذابا وأكثرهم حاجة إلى شحذ إرادته، وقتل أحد شخصيه للوصول إلى التوحد الذاتي والاطمئنان ." وهنا يبرز كاسونا وبقوة أن الأموال والنفوذ والسلطان والشهوات كل هذا الأدوات تستطيع شراء وإذلال وإخضاع من تريد، لكنها محال أن تخرس صوت ضمير علا بالتأنيب وأن تسكن نفسا بدأ نور الإيمان يباشرها، فلعامين وريكاردو يخطط لزيارة قرية بيتر أندرسون والتعرف عليها ليفهم السر الذي من أجله اختار الشيطان أن يعذب من أجله، ولم بيترأندرسون وحده دون غيره ؟ وما جدوى قتل صياد فقير في نظر الشيطان ؟ رغم أنه يغوي ملايين قتلا وتشريدا وإفسادا كل يوم !

وريكاردو بهذا البحث قد أكد أن السلوك الإجرامي للمجرمين جميعا سواء، فكلهم يحوم حول مواضع قتلاهم ربما ليخففوا بذلك البحث من الضغوط الهائلة التي تسحقهم وبقوة من داخلهم فصرخات المرأة تطن في أذنيه وضميره بدأ بزلزلة وجوده من الداخل فبدأت ثوابت في نفسه تتزعزع بعدما كاد ينساها كالرحمة والشفقة، أو قل بدأ ينبت له ضمير ما لبث أن تدفق فيه مجتاحا كل مراكز الشر فطردها منه وطهر روحه فهم عميق لسر قتل بيتر أندرسون

ثم يخطو كاسونا خطوة جبارة نحو نقطة التنوير الكلي في نفس وليده الجديد ريكاردو بأن يكشفه ويزلزله بقوة من الداخل بإبراز قبح نفسه بمقابلتها مع عائلة القتيل بيتر وكأنهم مرايا نفسية عكست وبجلاء صفاء ضمير وإيمان الضحية بيتر أندرسون، فالجدة تمثل ذلك الهرم الشامخ بالقيم والتقاليد والسلام، قارنها بنفسه فصدم لكم الشر الذي كان يحمله على عاتقه، ثم الصاعقة الكبرى بلقاء إستيلا زوجة القتيل والتي سحرته بإيمانها ويقينها ورضاها وصبرها، ورغم فقرها المادي إلا أنها ملكت ما أفتقر إليه ماديو الأرض كلهم من السلام والأمن النفسي .

إن ثمرة القيم الإيمانية التي أراد كاسونا تجليتها في المسرحية قد انطبعت على شخصية إستيلا وكأنها الدرس العملي لتعاليم زوجها المغدور بيتر أندرسون، ذلك أن ثمرة الحياة ورحلتها تفضحها امرأة بشهادتها لزوجها أو عليه ، والحق أنها رسمت لدى القارئ بحديثها عن بيتر صورة ملائكية لصفاء الضمير ونقاء السريرة، قتل أمام أعينها على يد زوج أختها كريستيان وفضلت أن تخفي الحقيقة ولا تثأر منه حفظا على بيت أختها، وتركت القدر الذي علمها زوجها أن تثق به يقتص منه، وكان انتقام القدر من القاتل شديدا، فقد عاش عامين أسير خطيئته مدمنا للشراب هائم على وجهه، وكانت هي برسوخها وصمتها الجلاد له في كل وقت.

وليزيد كاسونا من حدة الصراع في نفس ريكاردو قبل معرفة الحقيقة نجده يعاني وبشدة لا من قتل بيتر، بل من فيض الإيمان المتدفق من قلب إستيلا، وقد عجز بكل ما حازه من مال وجاه ونفوذ أن ينعم بإيمانها .ولا أن يعود لريكاردو البغيض القديم بلا ضمير حشرته بنور ووهج قلبها في قالب ما استطاع منه فكاكا فاختار أن يولد من جديد .

قرر أن يدمر بقية الشر الباقية في نفسه ويبوح لها بسر قبوله بقتل بيتر، فيصعق من أنه عاش لعامين يعذب لا على قتل بيتر بل لأنه قتل الخير بداخله، فيقوم كما تقوم أبطال الأساطير وينتصر هذه المرة على الشيطان ذاته، والأشد أنه عرف مكامن النور في نفسه، لقد تعلم الدرس جيدا وطبع في نفسه أبعد الأثر أن للإيمان قوة ولذة وسطوة تدمر كل ما يظنه الإنسان مغنم، وأي

مغنم يعادل أن يجد الإنسان نفسه، وأن يتخلص من شهواته ويصرع شيطانه ليظفر بالراحة الأبدية وهذا ما يعترف له الشيطان به.

فلقد رأينا كيف تمكن ريكاردو من النصر عندما اعترف له الشيطان أن ريكاردو قد قتل ريكاردو، وعندها أعلن الشيطان فشله وتراجعه، تاركا ريكاردو ليعانق مصيره الجديد بعيدا عنه، بل إن كاسونا عظم من هذه اللحظة بأن جعل الشيطان يعرب عن فشله ليس معه فحسب ولكن عن طبيعة دوره في الوجود الإنساني أيضا .

الرجل : إن لك أن تتصور مدى ما قد نتعرض له في مهنة قاسية صعبة مثل مهنتي من ألوان الفشل ؟ هذا شيء قد تعودت عليه، ولكن الحق هو أنني لم أفشل من قبل في شيء قدر فشلي هذه المرة، لقد أتيت لكي أضل روحك، ولكن كنت أنا الموجه لك دون أن أقصد أن أرشدك لطريق الخلاص. (مركب بلا صياد : ١٨٢).

وقد كان كاسونا أكثر من موفق في كشفه عن الجذور العميقة في فطر البشر مؤمنهم وكافرهم فالشيطان بالنسبة لهم جميعا هو العدو الأوحد الأزلي في جميع الديانات، وقد استثمر كاسونا هذه النهاية للتأكيد على أن البشر جميعا موقفهم واحد ثابت في مواجهة الشيطان فهم يفرحون لهزيمته ويحزنون أن ينتصر عليهم .

الرجل : ولكني أرجوك . لا تقص على أحد ما دار بيننا، فالناس يعجبهم دائما أن يروني في موقف يبعث على السخرية والضحك، بل إن أكثرهم نفاقا لا يتورعون على أن يستنبطوا من مثل هذا الموقف ما يدعونه عبرة وعظة . (مركب بلا صياد : ١٨٣)

وإذا كان كاسونا قد أظهر لنا قبح الواقع وسط عالم رجال المال والأعمال، فإن شاعرية الواقع ظهرت وسط عالم هؤلاء الفقراء والبسطاء، فالجدة نموذج للعجوز الريفي التي تحمل من الطيبة والشفافية والبساطة مما يجعها تطفي على النص طابع خاص، تتحدث مع نفسها كي لا تظل الكلمات محبوسة في صدرها تحركها، كلمات ملئية بالحسرة على زوجها

الراحل بيتر وما خلفه ورائه من عالم مليء بالرتابة والكآبة فالبيت كان يعج بالأصوات، وكان الحديث يدور عن المستقبل وتقرع الكؤوس ويضحكون، ولكن عندما خلت المائدة من طبق بيتر أصبحت كبيرة عليهما باردة فاترة ولم يعد الضحكات والنبيذ للمائدة، وغدتا امرأتين وحيدتين والصمت يلف الدار، إنها نغمة حزينة تذكرنا بنساء مسرحيات لوركا ومعاناتهن نتيجة افتقاد الرجل (ناصر ونوس، ٢٠١٨، ٩٨) إلا أن دخول ريكاردو حياتهما أعاد إليهما روح البيت المفقودة، فالجدة التي تجد لذتها في إسعاد من حولها دائما ما تبادر بالسؤال عن راحة مضيفها

أما في مسرحية "الشيطان مرة أخرى" فنجد كاسونا يتحدث عن فكرة عميقة وصورة جديدة للإيمان الذي أراد تجليته، فكرة أن الشرور وإن كانت كلها ملوثة لفطر الإنسان إلا أنها تتفاوت في أثرها وقوتها، الشر الذي أراد أن يلفت أنظارنا إليه هو شر دون شر، وكأنه أراد أن ينبهنا أنه من العبث أن يترك الإنسان نفسه أسيرا لنزغات الشيطان دون وقفه مع الذات ليردعها أو على الأقل أن يخفف من آثامها هذه ولو بالمفاضلة بين الشرور أقلها أثر في نفسه، فرسم عن طريق الفنتازيا صورة لشيطان خبيث يقود مركب الطالب الأسباني رخاء نحو تحقيق المحال، فيخلق له الأزمات ويزيبه بمظهر البطل المنقذ للمملكة كلها ليمهد له أن يكون على عرش المملكة، لكن الطالب الأسباني قد فهم اللعبة وعرف أن الخير الشيطاني هذا ما هو إلا خيوط حريرية يحكم بها الشيطان وثاقه من عقله وتغلق على قلبه أبواب النور، فهم أن الخير أبدا لا ينبع من نفوس مظلمة أشربت الشر والمؤامرات، ذكره أول المسرحية أنه طالما أغوى البسطاء بشراء أرواحهم وأنه لن يبيعه روحه، فأخفى الشيطان خبثه ومكره وأنه لم يعد يرغب في ذلك لأنه حتى الآن لا يملك روحا، وإنما أراد أن ينبهنا أن القيم الإيمانية في نفسه لم تكتمل بعد .

ولكن يبقى سؤال لماذا اختار الشيطان هذا الطالب الأسباني ليسدي إليه ذلك المعروف، أو كما وصفه بالخير الشيطاني ؟

الحق أنه اختاره نموذجا للشباب الطامحين الساعين للعلم الراغبين في المجد، وهو بهذا الوصف قوته النفسية والروحية وهاجة يستطيع أن يكون أيقونة لمن حوله لشحذ عزائمهم، وهو ما يخشاه الشيطان أن يولد من يقود ضمائر الجماهير ويحدد أهدافهم وخطاهم في الحياة

الشيطان : جئت لأعرض عليك صداقتي بتجرد، أنت في بداية الحياة، وهذا أمر خطير، وأنت لا تعلم أين وضعت قدمك . (الشيطان مرة أخرى : ٢٧) .

ثم يخطو كاسونا خطوة جبارة في نهاية المسرحية بأن تتكشف حيلة الشيطان أو خيره الشيطاني كما أدعاه في أول المسرحية أمام الطالب الأسباني، بتغييب إرادة البطل بتدخل مباشر عن طريق خداعه بتناول أشربة الشيطان التي تسلب الإرادة وتجعله مغيب فاقد الإراده أو تعطل القيم الإيمانية بنفسه لتتم المؤامرة التي أرادها الشيطان لكل طامح، وهو الهدف الذي أراد كاسونا أن يجليه لنا .

إن الشيطان إن عجز عن غواية البشر بنزغاته الخفية أو وسوسته في النفس فإنه سيتدخل بشكل مباشر لردع الطامحين بكل الوسائل لإن فكاكهم سيحرر آلاف ممن ساروا في نزغات الشيطان.

الشيطان : رمز آخر . أنا أستطيع أن أسحر بالإرادة وحدها، ومع ذلك أنا أسحر بني البشر دائما بالمخدرات والأشربة التي أحملها في خاتمي كالسم . ألا تشرب ؟ (الشيطان مرة أخرى : ١٠٥)

وتحدث المفاجأة التي لم يحسب لها الشيطان حسابا، ذلك أن الطالب الذي غيب الشيطان إرادته وعطل القوى الإيمانية في نفسه بأشربته السحرية ،بعدما تحركت فيه غريزته وهم بشهوانية أن تمتد يده بالسوء لابنة الملك، استيقظ فيه ضميره وطلب من أحد أعوانه أن يكبل يديه وأن يستدعي الملك ،فالطالب فهم الدرس ووعاه وأن الشيطان قد عجز معه بوسائله التقليدية لغواية روحه حتى بحلم البطولة، أراده بطلا ملوثا أمام نفسه وفي عين حبيبته، أراده أسيرا لسحره ومخدراته التي تفقده نور إيمانه ومهزوما ملطخا بعار الشهوة، وأراد لبراءة قصة الحب الطاهرة في نفسه أن تدنس بنيران الخطيئة، أرادهما تابعين ذليلين للحظة ضعف يبيعه روحه فيها مكرها، ويظل أسير هذه اللحظة طول عمره .

لكنه فهم أن البطولة الحقة في إنسانيته وطهره ونبل حبه المحال للأميرة التي عشقها طيفا من خيال وحلم في الكمال تجسد في صورتها، كبل شهوته في أعماقه، واحترم نبلها وضعفها ورجاءها الحفاظ على مملكتها ومن قبل شرفها وشرف المملكة، فهم كل ذلك فأمسك بزمام نفسه فقتل الشيطان داخلها، ونجده بعدما وعى الدرس وانتصر يطالب بالجائزة التي وعد الملك بها، إلا أن الشيطان عاقبه على هذا التمرد بأن فضح المؤامرة بقرع الأجراس وأنه لم يمت بل باق في نفسهم جميعا باستثناء هذا الفارس النبيل.

إن الشيطان الذي عمّى على الطالب والملك وأهل المملكة جميعا في أول المسرحية بخدعة قتل الشيطان بخنجره، وأكثر من ذلك أعطى الطالب خنجره الذي تعرف المملكة كلها أوصافه ليجعلهم جميعا يسيرون في طريق الوهم الذي رسمه لإغوائهم جميعا، فهل يمكن قتل ملا يمكن قتله بالطرق التقليدية أو بالحديد والنار؟

فمن الناحية المادية في نظر الملك وحاشيته وأهل المملكة فالشيطان قتل والدم على خنجره يثبت ذلك، وبذلك حلت الأزمة في أعينهم!

ولكن الحقيقة أن الانتصار على الشر لم ولن يكون بهذا الشكل العبثي الذي أراده الشيطان ليستمر في تزيين غوايته وتلبيسها على الناس وإنما كما فعل البطل بقتله في داخله وكبح قوى الشر في نفسه، وكأنها رسالة لكل روح مؤمنه وسلوك صحيح ونقاء ضمير فبالحب والإيمان يقتل الشيطان في النفوس.

و ترى الباحثة أن القيم الإيمانية في المسرحيتين تنبثق من عدة نقاط أعتمد كاسونا عليها لتجلية أفكاره أهمها قيم." الحب والعفو والمسامحة والعفة."

١ – قيمة الحب:

إن الحب في النفس من أعظم الأرزاق التي يسوقها الله لعباده، ذلك أن الحب بمعناه الشمولي الواسع يسع الكون كله في مضغة هينة رقيقة، تجعلها ملكات وطاقات النور والخير تغتفر وتصفح وتضيء وتمنح الكون كله ما يعجز عنه دهاقنة الأموال والنفوذ في الأرض يكفي أن الله زكى تلك المضغة بقوله تعالى : " إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ." (ق:٣٧) فالإيمان في الإسلام قائم على المحبة، مؤسس على المودة فعن أبي موسى الأشعري أنه سمع النبي – صلى الله عليه وسلم– يقول : " لن تؤمنوا حتى تحابوا ألا أدلكم على ما تحابون عليه؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: افشوا السلام بينكم .والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تراحموا. قالوا: بلى يا رسول الله كلنا رحيم. قال: إنه ليس برحمة أحدكم صاحبه! ولكن رحمة العامة ." (علي بن أبي بكر الهيثمي، ١٤٠٧هـ، ٣٠) فجعل دخول الجنة متوقفا على الإيمان، وجعل الإيمان متوقفا على المحبة، فالمحبة ركن في الإيمان وشرط في العقيدة وأساس في الدين

الحب من أسمى المشاعر الإنسانية التي تؤثر وتتأثر بها النفوس، ذلك أن الفطر الإنسانية التي فطرها الله أوجد فيها هذا الميل، وما كانت حواء ولم تكن لتوجد إلا لتفيض على آدم رحمة وحنانا، وبدوره سكن إليها فأنست وحشته وفجرت في نفسه مكامن ما كان ليكتشفها لولا حواء إلى جواره، وقد عظم الإسلام من قيمة الحب قال رسول اللَّهِ – صلى الله عليه وسلم – عن أم المؤمنين خديجة .: "إني قد رُزِقْتُ حُبَّهَا ." (مسلم بن الحجاج، د.ت، ١٨٨٨)

وقد استلهم كاسونا هذ الخيط في مسرحيتيه، ففي مسرحية "مركب بلا صياد" نجد ريكاردو وقد عاش بين امرأتين، الأولى أنريكيتا عاش معها جميع اللذات الجسدية والنزغات الشيطانية في صورة فجة مباشرة، نجده يلفظها إلى الشارع الذي ألتقطها منه لأنها ككل فتيات الليل باعته لمن دفع أكثر، فما حزن ولا تأثر لفراقها، بل تعامل معها بمنطق الصفقات، فبضاعتها جسد زينه الشيطان لكنه أبدا ما عمرته روح تحييه فلم تكن صدمة له ببقائها أو فراقها.

أما إستيلا صورة المخلص والملاك الحارس لمركب ريكاردو، تلك الصدمة الشديدة التي زلزلت وبشدة نظرته المادية للحياة والصفقات، فقد جعلته يبصر في الدنيا مواطن إنسانية في أعماق نفسه لم يكن يعرفها، إنها أعطته دون أن يسأل رغم فقرها، وسامحت رغم ضعفها لتحمي بيت أختها، وتحملت قسوة الحياة وشدتها لتحيي ذكرى زوجها في قلبها، كانت وكأنها الضوء الخافت في النفق المظلم في أعماق نفسه فطرد بها نزغات الشيطان وأبصر من خلالها حقيقة الحياة وعرف كنة نفسه، لم تخدعها وتلوثها الصفقات التجارية، ولم تنظر للحياة بمنطق الربح والخسارة، ولم تبع مبادئها من أجل المال، كانت قوتها في قلب عمره الإيمان ونفس تشبعت بالرحمة والمسامحة

ففاضت وبقوة على كل من حولها، حتى أنها من فرط غناها الروحي ما تورعت عن الصفح عن كريستيان بعدما أقر بقتل زوجها، كانت الصدمة والعلاج والملجأ والنجاة كانت صورة أقرب ما تكون للقديسين والملائكة تجسدت في صورة امرأة، فكانت المخلص لقوى الشر في نفس ريكاردو، والحادي له للوصول لجوهره الحق وهو الإنسان، وقد اتخذها ريكاردو سلاحه في وجه الشيطان فانهزم واعترف لها وللحب بالفضل في هزيمة قوى الشر في نفس البطل .

ريكاردو: نعم هي، إني حتى دخولي إلى هذا البيت لم أكن أعرف ما الذي يعنيه لفظ بيت ؟ وحتى تعرفي على إستيلا . لم أكتشف ما هي المرأة.

الرجل : هذا ما كنت أخشاه : الحب . إنه عيبي الأكبر . هو أنني دئما أسهو عن تقدير هذه الناحية الصغيرة، ودائما تكون هي التي تجلب عليَ الخسران . (مركب بلا صياد :١٨١).

ونجد أن الحب بمعناه الشمولي الواسع في نظر كاسونا لا يقتصر على التطهير بحب إستيلا وتأثيرها في نفس ريكاردو فحسب بل هو الحب الذي دفعه لأن يستشرف آفاق الكون كلها والحياة، ذلك الحب الإيماني إن جاز التعبير الذي ينبع من إيمان الإنسان بالله ويقينه به وبقيم الروح التي وهبها من ذات الله ومن فيضه، فالإيمان ليس في جوهره إلا حبا لله، وهذا هو المعنى الأكبر للحب. فالإيمان يحمل الضعفاء والمعوزين ليقطعوا به مشاق الحياة وآلامها إلى بر السلام.

ريكاردو: " يسأل إستيلا ". لماذا لا أستطيع أن أتحمل ما تقدر على تحمله امرأة؟

إستيلا : فأما بالنسبة إليَ فالأمر يختلف، لقد تعودت منذ طفولتي، ولدي من الإيمان ما يعينني على التحمل . فإنني أؤمن بأن الله هو الخير المحض في عقيدتي، وهذا ما يكفيني.

(مركب بلا صياد: ١٦٨) .

ونجد أن كاسونا قد رسم صورة أقرب للمتصوفة عندما تحدث عن حب أبطاله للطبيعة في مسرحيته، وإعجابهم بها وتدفقها الأبدي يصل بهم أحيانا إلى الذوبان في حب الله ذاته – سبحانه وتعالى – ويبعث في وجدان المتلقي رغبة أعظم في الجمال والخير وحب الكون، وكأنه ناقوس يلفتنا للجمال من حولنا أن ندير عقولنا وأرواحنا في جنانه وأن نتنسم الحب الصافي للخير في أمور ربما لا تثقفها العين لكنها تفجر مكامن النور والخير في الأرواح .

الجدة : وهل تعجب ريكاردو ثمار هذا التوت ؟

إستيلا : ومتى رأى شيئا لا يعجبه هنا ؟ ما أشببه بأعمى رد إليه بصره فبدأ يكشف العالم المحيط به، وكنت أراه يأكل ثمار التوت وقد لطخ بعصيرها وجهه كأنه صبي صغير . (مركب بلا صياد :١٥١)

وهذه الروح الجديدة التي غمرت ريكاردو فاضت على من حوله فتلقوه بحب أعظم بدا وكأنه يغسل أدران الماضي وينشئ مع هؤلاء البسطاء أواصر لا تقوم على النفعية بل الحب المجرد والخير والسلام .

الجدة : ومن الذي لم يشعر نحوه بالحب ؟ إن كل أهل القرية قد أصبحوا أصدقاء له، فهو دائما طيب النفس محب للمرح، هو ألوف يتبسط مع الجميع. (مركب بلا صياد : ١٤٨)

أما في مسرحية "الشيطان مرة أخرى" نجد كاسونا يتحدث عن الحب الشاحذ للهمم والمفجر لملكات النفس الإنسانية نحو البطولة والمجد وإن كانا هما الطعم الذي صيد بهما الطالب الأسباني ليكتشف آفاق وملكات نفسه، إلا أنه حب نبيل وكأنها قصة خرجت من أوراق سحرية مخفيه، لقد عبر كاسونا عن حلم الجماهير الجمعي في كل الأزمان وعلى مر العصور في حلم الكمال الأبدي في هذه المسرحية، فكل البشر على اختلاف درجاتهم يحلمون بالمحال وبلوغه، وما أشهاها من صورة تثلج النفس وتسكن آلمها لفتى في مقتبل العمر طامح للعلم يدفعه قدره للقاء المحال مع ضدين لا يلتقيان إلا في الأساطير، أميرة نسجت حولها الأساطير وتغنى بجمالها الشعراء وأفتتن العالم بها، ولا يجرؤ أحد علي التسامي إليها ولو في الخيال، حلم دارت حوله القصص منذ فجر التاريخ في كل البيئات والأزمان الحب المحال والكمال والمجد المطلق، وهو المفتاح الذي ولج منه كاسونا في مسرحيته وجعله مفجرا للصراع، إنها المرأة المستحيلة إن جاز القول، لكنه رشح لبلوغها والتسامي إليها بمقدمات جعلتها القيد والرحلة والجائزة، هي الطلسم في بقاء المملكة أو زوالها، من هنا ولج الشيطان للملكة كلها في صورتها الملائكية المغامرة، جعلت من نفسها وعرضها أبوها جائزة لمن يجني المحال وهو قتل الشيطان، ولا أقل من المحال مهرا لوصالها، وطاوعها الشيطان لما أقترب منها وأجبرته على أن يصلي بها في معبدها وكأنها بهذا تخرق كل القوانين حتى مع الشيطان، وكانت للبطل المخلص نقطة التحول في حياته فسحرته بجمالها فترك دراسته وتصعلك ليرضي رغبتها ويحقق حلمها في البطولة، لكنها رغم كل ذلك كانت العقبة في نفسه، فبعدما سحره الشيطان بأشربته السحرية أبصرها امرة وتحركت فيه شهواته إليها، لكنه الحب بنبله وسحره وقوته، وإن شئت الإيمان بالطهر، يطلب إليها أن تقيده أو تقيد نزغات الشيطان في نفسه، لتظل الأميرة في مكانتها عنده لينتصرا على ضعفيهما معا .

أرادت شيطان مقتولا بخنجره وعليه دمه دليلا ماديا لبطولة فارسها وتمسكت بالدليل برهانا على أنه المختار والمنقذ، وأراد لها فارسا نبيلا صانها في ليلة غلقت عليهما الأبواب حتى الصباح من أن

تدنس موضعها في نفسه، إنه الحب الذي هزم قوى الشر في نفسيهما فدافعت باستماته عن فوز فارسها أمام أبيها وأنه أتى بالمحال وعليه برهانه خنجر الشيطان.

ابنة الملك : بحق حبي . اقتله أيها القائد .

الطالب : أقسم بحبك يا أميرتي سيموت الشيطان .(الشيطان مرة أخرى: ١١٣)

فهذا التحول الكبير لدى الأميرة والطالب الشاب جعل الأميرة التي كانت تذهب إلى الغابة بدافع الفضول في صغرها وفي شبابها بدافع الإثارة طلبا للمغامرة، نجدها تتوجه طواعية لنزل الديك الأبيض يحدوها الواجب متوسلة بحبها للطالب الأسباني لينقذ مملكتها ويقتل الشيطان وكل هذا التحول في نفسها بفعل الحب

٢-العفو والمسامحة :

العفو هو ترك عقوبة إنسانا استوجب العقاب فعفوت عنه حسبة لله(الخليل بن أحمد الفراهيدي، د.ت، ٢٥٨)،والعفو والمسامحة بذلك الوصف من أنبل القيم التي وهبهما الله بني الإنسان حتى تستمر الحياة وسلامتها، ذلك أن الله فطر الإنسان على حرية الاختيار فحتمية الخطأ منه واردة بشكل كبير في حق نفسه و حق غيره، ومن ذلك حديث أنس – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قال : ' كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون ' (أبو بكر محمد البخاري، ١٩٩٩، ٣٦٦)

فالخطأ قائم لا محالة لضعف الإنسان وتهوره أحيانا في قرارته، لذلك شرع الله العقوبة مساوية له لردع كل معتد عن ظلمه كلا على قدر جرمه يقتص منه، لكن الله شرع معها العفو والمسامحة بابا من أعظم أبواب الجنان مكافأة للعافين، ذلك أن العافي يكظم غيظه ويهب حقه للمسيء وينتظر الجزاء من الله على هذا النبل والكرم العظيم قال تعالى : " وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين ." (الشورى: ٤٠)

وقد استلهم كاسونا هذه القيمة في مسرحيتيه فنجده في مسرحية "مركب بلا صياد" يجليها لنا في صورة إستيلا تلك الزوجة المفجوعة في مقتل زوجها بيتر أندرسون على يد زوج أختها كريستيان الذي أكل الحقد قلبه فاغتاله، نجدها تتحمل صابرة محتسبة سرها في قلبها حفاظا على بيت أختها، وعطفا عليها ألا تعاني مرارة الفقد التي تحياها، بل والأعظم من ذلك أن كريستيان عندما كان في أنفاسه الأخيرة إثر حادث أصابه طلب منها العفو والمسامحة . نجدها بكل أريحية تجود بها لأنها علمت يقينا أن العفو يوما ما كان ضعفا ولا تنازل عن حق، لكنها فوضت أمرها وأمر مستقبلها في قاتل زوجها لله فكان عقاب القاتل أشد من قصاص لحظي، لكن القدر جعل من ثبات إستيلا

وصمتها قيودا وسياطا ألهبت ضمير كريستيان وضيقت عليه الأرض بما رحبت وضاقت عليه نفسه كلما رأها أو سمع اسمها، حبسته في جرمه أكثر من عامين فأدمن الخمر وهام على وجهه وساءت حياته ،وأرغمته صاغرا أن يطلب العفو والمسامحة فجادت بهما عليه وتركت أمره لله .

إستيلا : نعم الغفران، إنها تبدو لأول وهلة كما لو لم تكن شيئا مذكورا، ولكن أي معجزة جعلها الله تكمن في داخل هذه الكلمة، لقد كنت أعتقد أنني لم أكن قادرة على أن أفوه بها ولكنني، ما كدت ألقي من بين شفتي كما تطرح الشجرة ثمرة ناضجة، حتى شعرت بأنها لم تعد السلام إلى كريستيان فحسب، بل أحسست أنني قد أصبحت أنظف وأقوى مما كنت، ولقد أزالت عن قلبي كل هم وأزالت عن نفسي كل غصة . (مركب بلا صياد : ١٨٤) .

ويرى عماد الدين خليل أن رؤية كاسونا الإيمانية تقوم على الحب العميق بين الله والإنسان وعلى هذا التعاطف وهذه الألفة، فإن القدر سيغدو في هذه الرؤية واضحا على حقيقته لمسة حنان إلهية تواسي المنكوبين في لحظة مرارة قاتلة، ونفحة رحمة تنزل على الخطأين وهم يتخبطون، وضربة سريعة حاسمة تقصم ظهور الذين ظلموا أنفسهم، ذلك أن القدر هو إرادة الله وهو الميزان العادل الذي يحكم به عالمنا .(أحمد خضرة، ٢٠١٩، ١٨٩)

فنجد هنا أن كاسونا يسوقنا بخفة نحو التصالح مع أقدارنا ذلك أنها مشيئة الله وميزانه الدقيق لصلاح الكون، وهذا ما يكتشفه الإنسان بعدما طمست الشهوات على بصيرته، فالقدر الذي نخشاه ونصارعه للوهلة الأولى هو عين الرحمة عندما تسكن نفس الإنسان ويتصالح مع ذاته فيبصر أن الله قد اختار له ما يصلحه لا ما يتمناه، فالمؤمن يبصر الحكمة الإلهيه بعدما ينحي تسرعه جانبا وأن الحكمة العليا وإن تبدت لبصائرنا فهي تختفي في أحايين كثرة ولا تظهر إلا في الوقت المناسب قال تعالى : " وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم، وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم ." (البقرة :٢١٦)

فنجد القدر قد وجه ضربة قاسمة إلى القاتل، فالعدل المطلق يسلط عقابه على الهاربين من عدالة الأرض، فيجبر القاتل على الاعتراف بجرمه وعلى طلب المغفرة فشعر بالسلام والاطمئنان بعدما عفت عنه زوجة القتيل .

إستيلا : ومن يدري إن حرف الصخرة قد شق صدره كما لو كانت خنجرا، وكن كريستيان يبدو أقوى من الصخر نفسه، إنه الآن قد استعاد هدوءه وطمأنينته وفي وسعه أن يستقبل أي شيء الحياة أو الموت، لم أكن أعلم أبدا أن كلمة واحدة يمكن أن يكون لها مثل هذه القوة إنها الغفران .(مركب بلا صياد :١٨٣)

أما في مسرحية "الشيطان مرة أخرى" نجد كاسونا يجلي لنا قيمة العفو والمسامحة ،فنجد الطالب الأسباني وقد تسامح مع نفسه أولا ثم فاض هذا السلام النفسي والتسامح على كل من حوله، فنجده بعدما ترك بلدته وأتى طالبا للعلم يفجأ بقطاع الطرق الذين بدأوا أول أعمالهم في النهب به، ذلك أنهم أثروا في نفسه بفشلهم في امتهان اللصوصية وتعللوا بأن الأغنياء يتخذون من التدابير ما يعوقهم عن جمع المال، فرَق لحالهم وتنازل لهم عن كل ما لديه من مال وطعام وتعلل بأنه فقير لا يحمل الكثير، وإن كان المثال كهرم مقلوب في الفكر فقد حاول كاسونا أن يبرهن من خلاله أن قيمة العفو والمسامحة تنبع من قلوب متشابهة فالطالب رحم فقرهم وعوزهم وقلة حيلتهم وتسامح معهم بجوده عليهم مختارا لا مكرها بهذه النقود القليلة وشطيرته التي حملها زادا في طريقه، وكانوا له مكرمين من منطقهم بأن وعدوه أنه إن أحتاج إليهم يوما ما فإنهم سيقفون معه وأنهم في نزل الديك الأبيض مثواهم، صورة للكوميديا السوداء في فكر كاسونا لكنها لا تخلو من نظرة إنسانية في أن الفقر والعوز يوحد ما بين المحتاجين ويجمع شملهم وإن كانوا في اتجاهات شتى، فشتان بين طالب خرج للعلم ولص وقف ليسلب الأموال لكن الفقر والعوز جمعهم في اتجاه التعاطف والتراحم .

القائد : تهيئوا، وأنت أيها الطالب أمد لك يدي قد لا نرى بعضنا مرة أخرى، ومع ذلك إذا ما أتعبتك الحياة ذات يوم في المدينة واحتجت إلى ملجأ هادىء فسوف تلقاني هنا سنحاول أن نجد لك مكانا صغيرا في العصابة، في نزل الديك الأبيض تجد بيتا لك من كل قلبي .

(الشيطان مرة أخرى :٢١)

وكذلك ابنة الملك التي التقاها أول المسرحية في الغابة والتي سخرت منه من وملابسه وفقره

ابنة الملك : " خائفة " من أنت ؟

الطالب : عبدك . منذ دقيقتين .

ابنة الملك : يشرفني " إنحناءه ساخرة . تضحك فجأة ." عبيدي يلبسون ثيابا أفضل من ثيابك . (الشيطان مرة أخرى : ٣٤) .

نجده يتسامح معها في نهاية المسرحية عندما تأتي إليه معتذرة طالبة منه المساعدة فى قتل الشيطان وإنقاذ المملكة نجده لا يتردد في مساعدتها والسعي مخلصا لتحقيق مطلبها المحال، إن تسامحه معها كان تسامح النبلاء الذين يعفون عند المقدرة وشيم الفرسان الذين يرحمون ضعف خصومهم عندما يقرون بالذنب، وإلا فما الذي يدفعه للمجازفة بتحدي قوى الشر الكبرى في الكون، إنه الحب الذي فاض على نفسه فملئها عفوا وتسامح وجعل ممن سخروا منه ومن فقره أقرب الناس

إلى قلبه، إنها شيم النبلاء والفرسان تتجلى في أوج تكاملها لتنتج لنا بطلا فريدا في حبه شامخا في نفسه نبيلا في عفوه وتسامحه .

ابنة الملك : كان علي أن ألبس رداء المتوسلين لأنني جئت أيها القائد متوسلة إليك بملء روحي من أجل إنقاذ شعبي .

الطالب : وسأكون سعيد بخدمتك (الشيطان مرة أخرى : ١١١)

٣- العفة :

العفة هي الكف عن كل ما لا يحل للإنسان من قول وفعل، وبذلك فالعفيف هو من يحتاط من الفضيحة والمذمة من الناس، ولكنه قبل ذلك يستحي من الله تعالى لأنه يستشعر مراقبته له – سبحانه – فلا يأت إلا بخير ولا يقف في مواقع التهم.(محمد عثمان صالح، ٢٠١١، ١٢)

وإذا كانت العفة في الرجال مظهر من مظاهر الكمال الخلقي، فإن المرأة العفيفة كنز لا يضاهيها سواه، ذلك أن حصنها ودافعها للعفة والشرف والطهر نفس تحصنها من الداخل بالبعد عن الرذائل واجتنابها مع تحمل الإغراءات والغوايات الخارجية من شياطين الإنس والجن، وربما قصرت يدها عن النفقة إلا أنها رغم كل هذه العقبات تجد في عفتها حصنها ومنعتها مستعصمه بالله في قطع حياتها راجية منه الثبات والاستقامة وأن يكمل مشوارها بالستر الجميل، وصدق الله في وصفهم قال تعالى : " يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافا ." (البقرة : ٢٧٣)

فنجد كاسونا في مسرحية "مركب بلا صياد" قد رسم صورة لإستيلا نموذجا فريدا للمرأة العفيفة التي فجعت بمقتل زوجها لكنها عاشت مخلصة لذكراه تعلمت منه الأنفة والعزة والعفة تفضل الجوع على أن تسأل أحدا أن يعاونها، وهي وإن كانت تعيش في بيت زوجها إلا أنها رغم فقرها وعوزها الشديد تعول جدتها العجوز معها في البيت، وترق الجدة لحالها فطلبت من أختها فريدا أن تساعدها فتغضب إستيلا لأنها لم تتعود أن تتطلب من أحد المساعدة وتعد بأنها ستضاعف من جهدها لتدبر الأموال اللازمة لحياتهما . ففريدة تدفع من مدخراتها الخاصة إيجار بيت إستيلا المتأخر ولو لم تفعل ذلك لأخذوا منها مركب الصيد، لكنها لا تخبر أختها خوفا من رفضها، فألم الفقراء شديدي الاعتزاز بالكرامة، لذا نرى إستيلا مشغولة بترقيع شباك الصيادين أو منكبة على فلاحة الأرض لتزرعها أو منصرفة إلى صناعة المراكب الصغيرة في ليال الشتاء الباردة . كل ذلك من أجل تأمين لقمة العيش، فحزنها عزلها عن العالم الخارجي من حولها منعتها عفتها ونفسها من مخالطة أقرب الناس منها حتى لا تهتك ستر عفتها وترفعها بإهدار ماء حياؤها بين أيدي المتصدقين.

إستيلا : لماذا فعلت ذلك، لقد قلت لك مئة مرة إنني أريد أن أدبر شئون بيتي وحدي دون معونة من أحد .(مركب بلا صياد :١١٥) .

وكأن القدر أراد أن يختبر عفتها وطهرها فساق إليها ريكاردو ذلك الثري الغامض الذي عاش عندهم في البيت لأيام وعرض عليها المال لمساعدتها فترفض بشدة أن تأخذ منه شيئا، محافظة على نقاءها وعفتها ولا تتاجر بمبادئها من أجل ديونها، بل وتعلمه أن المال الذي جمعه وقاتل من أجله أقل بكثير من طهرها وعفتها فتزلزل بعفتها وصبرها كل النزغات الشيطانية الانتهازية بداخله وترشده إلى حقيقة النفس وسرها أن السلام الحقيقي ينبع من القناعة والرضى والعفة لا من المال والسلطة والنفوذ، وأن النساء اللائي عاش يتقلب بينهم في حياته الأولى لسن سوى مسوخ زينت وتجملت لتزيده تلوثا وقبحا داخليا وطمسن على عين قلبه ليرى جمال ونور العفة والطهر في الدنيا، لقد جنى عليهن بماله وسطوته وجنين عليه بطمس قلبه بشهوات زائفة مسخت معها قيم إيمانية لو ذاقها منذ البداية ما فكر ثانية أن يقربها، إن للعفة لذة لا يذوقها إلا أربابها تكويهم نيران الفقر والعوز وتحجزهم عفتهم عن الوقوع وكأنهم يسيرون على الصراط في الدنيا ليحجبوا عن نيرانه في الآخرة .

ريكاردو : لماذا ترفضين مساعدتي ؟ إن الذي أنفقه في ليلة واحدة يكفي لشراء ما لا طاقة لمزرعتك بإخراجه من الثمرات على طول مئة سنة . (مركب بلا صياد : ١٣٢)

أما في مسرحية "الشيطان مرة أخرى" فقد رسم كاسونا صورة نبيلة لطالب فقير معوز وعاشق متيم ومقيد في قَدر جنوني تأتي إليه ابنة الملك ضارعة متذللة أن ينقذها وينقذ المملكة وأن يحقق المحال بقتل الشيطان، ولأن الشيطان عجز عن النيل من طهرهما منذ أول المسرحية فنجد الشيطان يغويهما بطرق محسوسة مباشرة منذ البداية، فيقنع الطالب بضرورة تقبيل ابنة الملك لأن القبلة هي بريد العشاق، لكنهما يتراجعان عن الوقوع في خطيئة التلامس الجسدي الذي أراد الشيطان جرهما إليه، فلا هي تقبل ولا الطالب يقتحم عليها جسدها فيغتصب منها قبلة ترضي نزغة شيطانية قذفت في قلبه وهجها، فيخطو الشيطان معهما خطوة جبارة الأولى بأن يقبل الشيطان يد الأميرة وينتظر أن تنهار بعدها لكل نزغاته إلا أنها ومن دون قصد تعاقبه بإيمانها وتدفعه معها إلى المصلى ليصليان لتهدأ من عذاب ضميرها عن نيتها التقبيل، ونجد الطالب الأسباني وقد غافله الشيطان بوضع مشروبه السحري في كأسه وقد تحول لذئب تحركت فيه شهوته وامتدت يده بالسوء نحو الأميرة ليلوث شرفها وينتهك عفتها، إلا أن ضميره وحبه وعفته تستيقظان ويأبون عليه أن يلوثها رغم حبه الشديد لها فيطلب منها ومن معاونيه أن يقيدوه حتى لا يكون دمية في يد الشيطان يعبث

بهما كيف يشاء نجده وقد وعى أن عفته وتطهر محبوبته هما السلاحان اللذان يجابه بهما غواية الشيطان فينتصران عليه بالطهر .

الطالب : لا تسل شيئا . اربط يدي بقوة، شد أكثر هكذا ،الآن أسرع خذ الحصان الأسود وأخبر أهل القصر أني أسير وأن ابنة الملك في خطر .(الشيطان مرة أخرى :١١٥) .

وترى الباحثة أن الكاتب إليخاندرو كاسونا من أقرب الكتاب الغربيين تجاوبا مع الثقافة الدينية الإسلامية في عرضه وأفكاره ومعتقداته الدينية، فكل القيم التي طرحها كاسونا في مسرحيتيه تنبثق من التصور الإسلامي للحياة والعالم والأشياء، ولا غرو فالأندلس بالأمس أو أسبانيا اليوم عاشت الفتح الإسلامي لأكثر من ثمانية قرون تلونت فيها الثقافة الأسبانية الأندلسية بصبغة عربية دينية خالصة، ذلك أن الفتح العربي الذي دام بها من سنة ٧١١م حتَّى سنة ١٤٩٢م قد انطبعت أثاره جلية واضحه في فكر كاسونا، ولا عجب فالفكر الإسلامي هو في حقيقته فكر إنساني عام ليس حكرا على المسلمين أنفسهم، بل هو صدى لحضارة عاشت واختلطت بأهل الأندلس أثرت فيهم وتأثرت بهم، فظهور القيم الإيمانية في المسرحيتين صدى وتجاوب مع هذا الإرث الثقافي وبرهان على أن القيم والأخلاق ليست حكرا على أحد.

خامسا :دلالة عتبة العنوان:

يعد العنوان في أي عمل فني أو أدبي هو المفتاح الذي يتخذه الكاتب قنطرة لعبور القراء إلى فكرته التي يريد تجلتها لهم من خلال كتابته، فالعنوان بمثابة المرشد للقارئ والحادي له إلى فكر الكاتب، وبذلك فالعنوان هو العتبة الأولى التي يقصدها الجمهور للدخول إلى النص الأدبي، ولذلك فمسئولية الكاتب في اختيار العنوان كبيرة شاقة ذلك أن العنوان في ذاته يستهدف فئة بعينها من القراء ويوجههم بعناية فائقة نحو بغيتهم الفكرية للولوج إلى داخل النص المكتوب، إلا أن المسئولية تكاملية بين المؤلف والقارئ عند مطالعة العناوين، فواجب المتلقي أن تكون لديه ثقافة خاصة بكيفية دراسة هذه العناوين التي تفتح أمامه الأبواب لدخول عالم المؤلف والوصول إلى هدفه وفهم خبايا وأسرار النص .

والحق أن العنوان باتت اليوم عملا فنيا مستقلا ذلك أنه يلخص لنا العمل الأدبي أو يزيده غموضا أو تشويقا .

ويرى (معجب العدواني، ٢٠٠٢، ١٢٥) أن العنوان يحمل وظيفة إعلانية مرسلة إلى المتلقي فهو أول رسالة يوجهها للقارئ ليكون المنظم المركزي لكافة عمليات التلقي التالية، كما أنه ينتج أمكانات التأويل الذي ينبني عليها ثقافة المتلقي .

والمسرح بوصفه أبي الفنون عني عناية فائقة بالعنوان، ذلك أن دلالة العناوين في المسرحيات الأدبية تحمل في طياتها اللبنة الأولى للخطاب المسرحي، وهو بهذا يعد مفتاحا مترجما للعمل المسرحي يثريه ويجذب إليه الجمهور وينتقي من خلاله فئات بعينها يستهدفها من خلال عناوين جذابة تحمل دلالات فكرية متنوعة .

وتكمن أهمية العنوان في كونه أول المؤشرات التي تدخل في حوار مع المتلقي فتثير فيه نوعا من الإغراء والفضول المعرفي، وإليهما توكل مهمة نجاح العمل الفني في إثارة استجابة القارئ بالإقبال عليه وتداوله قراءة ومشاهدة أو النفور منه واستهجانه قراءة ومشاهدة كذلك.(حمودة بن العربي، ٢٠١٠)

فالعنوان بذلك من أهم العتبات النصية التي تستشف الحقول الدلالية لتبلغ ظلال المعاني وتأنق العبارات، وتفسح المجال لآفاق لا متناهية من التأمل، فهو بمثابة خطاب رمزي أعتمد على مخزون وافر من التأويلات النفسية التي حملت كما وافرا لأفكار ومعاني ذات الصلة بدلالات النص دمجت بداخلها مجموعة من الأفكار والمعاني في عبارات إشارية أو صور، لتعبر أنماط محددة من الممارسات التي تجتاح النص وتكمن في أعماقه ليتسع من مجرد كونه تركيب لغوية إلى تركيب دلالية ومن كونه لغة إلى علامات ذات دال ومدلول (باسمة درمش، ٢٠٠٧ ،٤٠)

ونجد كاسونا في مسرحية "مركب بلا صياد" قد ولج إلى هدفه ببراعة فائقة فقد استخدم كلمات دلالية في عنوانه حملت في طياتها رموز وإشارات كالشفرات التي ترسلها الجيوش في أوقات الحروب إلى أفرادها لتنفيذ مهام خاصة، فالعنوان جملة خبرية تكونت من المبتدأ والخبر ليدل دلالة واضحة على الثبات والاستقرار وكأنه حكم على شخوص وأحداث مسرحيته منذ البداية بأن يكون مصيرهم الثبات المطبق في نهاية المطاف كلا قد دار دورته في الحياة ليخلي مركبه التي اختارها منذ بداية الرحلة فارغة فهل وصلوا لأهدافهم ؟أم غرقوا في إبحارهم ؟أم تحطمت مراكبهم في بحار الحياة المتلاطمة ؟ أسئلة شتى ودلالات للمراكب التي اختزلها في عنوان قصير لرحلات في حيوات شتى لشخوصه وأيهم كانت مركبه قد غنمت بالظفر في رحلتها فخلاها ربانها بعد رحلة للفوز بالنجاة ؟

فكلمة مركب المنكرة بحذف أداة التعريف منها " ال " وقعت خبرا لمبتدأ محذوف تقديره هذه أو هي، وكأنه حذف المبتدأ ليجعلنا مشاركين في البحث معه عن هذه المركب التي صارت خبرا لمجهول بتنكيرها، فأين المركب التي يريدها كاسونا وإلام يشير ؟

أسئلة شتى شغلنا بها منذ البداية بمبتدأه المحذوف " هذه"، ثم تحول فجأة للحديث عن"مركب " بما تحمله في داخلها من معان النجاة والفوز والظفر والوصول للهدف البعيد الذي يحتاج لمن يحملنا بسلام لنصل إلى هدفنا، فهل قصد كاسونا تلك الألواح والدوسر التي شيدت ببراعة وهندسة عبقرية لتكون النجاة في بحار الحياة ؟

الحق أن كاسونا تركنا نتخيل مع شخوصه من منهم أبحر وكيف أبحر ومما صاغ نجاته بمركبه، وكأنه بهذه الكلمة المفتاحية يذكرنا بمركب النجاة في قصة نوح – عليه السلام – التي كانت الجزيرة الناجية في محيط الحياة المتلاطم .

مركب من التي اختارها كاسونا ليحدثنا عنها ؟

إنك لو دققت في العنوان ستلمح في الخلفيه بحر متلاطم الأمواج به مراكب شتى مختلفة الأحجام والأهداف لشخوص مسرحيته كل قد أبحر في بحر الحياة بمراكبه في وجهات مختلفة وكل يؤمل بلوغ هدفه، لكن النهاية التي قررها كاسونا أن تترك مراكبهم خاوية على عروشها ليزيدنا إثارة وتشوقا، ملأت نفس المتلقي ليفتش عن مركبه هو وسط هذا الحشد من المراكب في النص .

إن الآدب بألوانه المختلفة ما هو إلا صدى للواقع الذي نحياه وكاسونا أفلح وبقوة أن يجعل من المتلقي جزءا من عمله بحالة الدهشة والاستنفار بداخلنا والرغبة في الإبحار معه في عالمه الذي بدأه مجهولا في عنوانه " مركب "

ثم النعت الذي تمم به معنى الجملة أو عنوانه " بلا صياد " باء زائدة في الدلالة اللغوية ولا نافية للجنس أي أنها أقفرت نهائيا ولفترة طويلة من أجناس الصيادين على متنها، وصياد صيد بحرف جر زائد في موقعه في التركيب اللغوي، وكان أصل الجملة مركب صياد، لكنه أبى إلا أن يزيد من دهشتنا بهاتين الكلمتين مركبه المنكرة وصياده الذي خلاه من المركب على غير عادة السفن وربانها، إن الصيد وإن أشتق من صاد يصيد صيد، فهو يحمل في طياته معان الفوز والغنم والظفر للصائد في كل مكان ولأن البحر عالم خفي بما يحيوه في باطنه من أسرار وأغوار وكنوز كان ولا زال منذ القدم الهاجس الأكبر لكل البشر فخاضوا غماره وتحداه المغامرون والمستكشفون ونسجوا حوله الأساطير قديما وحديثا لما يحمله من معان البطولة واقتحام المجهول، وهو في الوقت نفسه يحمل على صفحاته هموما وأحزانا شتى لكل بني البشر الذين أنقلب عليهم البحر يوما فابتلع أحلامهم ودمر سفائنهم بل وفجع أحبتهم فيهم.

لكنه رغم كل أهواله وظلامه ومعاناته جبلت البشرية على التعلق به والأنس إليه ونسيان ما يقترفه في حقهم من آثام، ذلك أن تعلق الناس بالماء والبحار فطرة فطر الله الناس عليها، بل إن الله زين

الجنة للمؤمنين بالبحار والأنهار قال تعالى : " وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار ." (البقرة: ٢٥)

فكاسونا لعب على أوتار داخلية في نفوس المتلقين حلم البشر في النجاة بمركب تجري ريحها رخاء من كل ناحية، وصياد عاد غانما من رحلة موفقة جنى منها أحلامه وآماله، وتعلق برزق في طيات المجهول لكنه وفير موجود لا يخرج إلا بأوان لمن قدر له الفوز العميم .

لكن كاسونا جعلنا في حالة من القلق والترقب منذ الوهلة الأولى، ثم السؤال الأهم من الذي خلا المركب من صياديها ؟

هل الشيطان بنزغاته هو من قام باللعبة كلها فأقفرت مراكب الأبطال من أماكنهم ؟

أم أن أنفسهم وشهواتها هي من أعتمل بها الشر فتقاتلوا على غنم محال في فم المجهول في أعماق بحر الحياة ؟

أم أن القصة برمتها استرجاع لتاريخ البشرية في صور رمزية للرحلة التي يقطعها الناس فيها ومحصلتها الخواء بعد العمران أو الظفر بعد التيه والترحال ؟

الحق أن الشيطان بنزغاته المباشرة وغير المباشرة هو اللاعب الأكبر في تاريخ الجنس البشري ذلك أنه قطع على نفسه العهد أن يقعد لبني البشر منذ خلق آدم السبل ليضلهم عن سواء السبيل، وليزيد كاسونا من دهشتنا جعل ميدان الصراع في بحر لم يسمه ولم يحدد أبعاده ولم يعرف كنهه، بل هو في بحر في أغوار كل متلق يبحث فيه عن محصلة رحتله في الحياة .

إن الصراعات التي جلاها داخل النص تدل وبوضوح أن المراكب التي عناها وسعها البحر الخضم لكنها كانت ولا تزال في تنافر دائم فمركب الرأسمالية أو الإمبريالية العالمية ما قمت سفائنهم وأبحرت إلا على أشلاء سفن ومراكب الفقراء والمعوزين يقودها جنون الطمع والنهب والسلطة ويحدوها الشيطان نفسه، وأقنع ملاحيه أنهم كلما ابتلعوا زوارق أومراكب للفقراء كلما سمنت مراكبهم وتضخمت وأمنت من تقلبات البحار، وهناك بجوار هؤلاء الوحوش مراكب القوادين والمرابين وأصحاب النفوذ ممن يقتاتون على فتات الرأسماليين يساعدونهم لينموا ويتوحشوا لكنهم يكتفون منهم بالفتات ليأمنوا شرهم وغوائلهم، وفي أقصى الأرض يوجد البسطاء والمهمشون الذين يعيشون على الكفاف ويقنعون برزق يومهم الذي يجود به البحر عليهم ويحيون السلام النفسي في أوضح صوره، لكنهم أبدا ببعدهم وسكينتهم يعكرون صفو الشيطان وأعوانه بهذا السلم والرضا، فعمد لشهوات النفس ينفخ فيها متخذا من الحقد والكراهية سلاحا يطاولهم به، فيؤلب القلوب وينفث نزغاته فيها ليدفعهم للفتك بمراكب المؤمنين، ولأن الإيمان نور تضيء الأرض كلها لو قدر له أن يتجذر في

النفوس ويعم من حوله رحمة وسلاما، يقرر الشيطان أن يخمد جزوته في تلك البقعة في أقصى الأرض حتى لا يدمر بنوره نزغاته وقوتها، لابد لمراكب المؤمنين من حادثة تعوقها عن الإبحار، فيقتل بيتر أندرسون بيد عديله، لكن مركب أبدا ما أبحرت إلا في قلب امرأته إيمانا ورضا وسلاما، نقلت حمولتها لسفينة ريكاردو فأبحرا معا في مركب جديدة وخليا مركبهما القديمة للشيطان الذي عاد من الرحلة خاسرا نادما بعدما تدمرت مركبه وهي المركب الأهم في المسرحية بفضل مركب الإيمان الجديدة التي أبحر بها المحبون .

وترى الباحثة أنه رغم براعة المؤلف في تسمية مسرحيته " مركب بلا صياد " وأن العنوان يعد في ذاته قصة موازية للعمل الفني الذي قدمه لما فيه من براعة استهلال وإثارة وتشويق إلا أنني أرى أن الأفضل لو كان سماه " شر فوق شر " ذلك أن المسرحية كلها دارت حول صراعات شتى بين شخوصها تفاوتا في درجات الشرور، وكأن الشرور ودرجاتها هي المحور والباعث المحرك للصراع في المسرحية، فكل يبحث عن النجاة من خلال التمسك بنزغات الشيطان وتضخيم حجم الشر في نفسه، وكأن الشيطان في المسرحية هو المايسترو الذي يقود أوركسترا أعوانه كل في موقعه . وكلما علت أبواق الشر من أحدهم كافأه بتعظيم مكاسبه المادية الشريرة، لكنهم جميعا يعزفون سيمفونية واحدة وإن اختلفت أدواتهم إلا أنهم يتكاملون في هدفهم وعزفهم الشر الأعظم أو الأضخم أو قل تتعالى درجاتهم بتمايزهم في الشر الصاعد في نفوسهم .

وترى (أسيا زيتون، ٢٠١٥، ٥٩) أن العنوان يكشف عن المجهول الكامن في النص المسرحي كما أراد الكاتب أن يظهره للقارئ، إلا أن العنوان عبارة عن رسالة يبثها المرسل إلى المرسل إليه، وهي مزوده بشفرة لغوية يحللها المستقبل ويأولها بلغته الواصفة وترسل عبر قناة وظيفتها الحفاظ على الاتصال.

ففي مسرحية "الشيطان مرة أخرى" نجد كاسونا يصدم القارئ وبشدة بعنوانه الذي يفتتحه بمبتدأ لقصة أبدية لا تنتهي من الغواية والصراع والنزغات والخوف من الوقوع في مصير هذا العدو المثابر في غوايته، ذلك الأزلي الدائم الذي لا يفنى أبدا إلا بفناء البشرية إنه الشيطان الذي أمهله الله حتى نهاية الأرض قال تعالى : " قال رب فأنظرني إلى يوم يبعثون، قال فإنك من المنظرين، إلى يوم الوقت المعلوم ." (الحجر: ٣٦-٣٨)

فإذا كان الشيطان أو أبليس قد ذكر في القرآن تسع وتسعين مرة في طول القرآن وعرضه في مواضع متفرقة منه، فهو قطعا يلفت النظر وبقوة لخطورة هذا العدو الأزلي اللدود في غوايته لبني آدم، فلفظة الشيطان وردت في القرآن الكريم على جهة الجمع والإفراد ثمان وثمانون مرة، أما لفظة

أبليس وردت إحدى عشرة مرة . أي أن نزغات الشيطان في القرآن الكريم قد حذرنا الله منها وبشدة وكأنه أراد – سبحانه– أن يذكرنا في كل موضع من كتابه الكريم أن الشيطان دائم متصل بك في طول حياتك وعرضها لن يتركك حتى الممات، ومن العجيب أن ترد لفظة الشيطان وإبليس بنفس عدد أسماء الله الحسنى عن أبي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قال: " إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا مِائَةً إلا وَاحِدًا من أَحْصَاهَا دخل الْجَنَّةَ ."(محمد بن إسماعيل البخاري، ١٩٨٧، ٢٦٩١) ، وكأن الله أراد أن يرشدنا أنه سيقف لنا عائقا عن مرادات الله في أسمائه كالنصير مثلا يقنط عباه من نصر الله، والغفور مثلا ييأسهم من مغفرة الله، وذلك عن طريق أولياء الشيطان أو عن طريق النزغات المباشرة وغير المباشرة قال تعالى : " يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون ." (الصف :٨)

وكأنه يستحضر بهذا الاسم وحده " الشيطان " قصص وقصص شتى من سلسلة لا نهائية من الغواية والفشل والنجاح للبشرية في مجابهته .

الشيطان يالها من كلمة تثير في النفس معان شتى لمرادفات مختلفة من الخوف والكراهية والرفض والغضب والصراع والعجز، كلمة حوت الشر كله بداخلها واختصرت تاريخ الأنبياء والصالحين وصراع أبدي من المنازلة والنصر والتأييد الإلهي لأوليائه وخزلانا لأعوان الشيطان منذ آدم وحتى يوم الساعة.

الشيطان مجهول معلوم غائب حاضر فاعل مؤثر جاثم في الصدور وفي قلوب بني البشر أجمعين، الشيطان ذلك الذي تحدى الله – سبحانه وتعالى – وضل بعد هداية وغوى بعد سعادة وأنقلب على عقبيه. هزمه الحقد في نفسه ونفث على آدم تكريم الله له وصنعه بيدي الله – سبحانه وتعالى – وتعاظمت قدراته أمام عينه، وغره أن الله قربه منه واصطفاه وكان أعلم الخلق بالله وأدناهم منه حتى سموه طاووس الملائكة، لكنه لما نظر في نفسه أحتقر آدم وعبادة الملائكة أجمعين، وفهم أن الاصطفاء الحق لا يكون إلا لعالم رباني قريب من حضرة الله العليم بكل شيء، حسد وحقد وغل في نفسة، وإن شئت الدقة لقد سمح الشيطان لكوامن الشر أن تطفو في نفسه فغطت على علمه وفهمه وقربه، لم يع أنه في اختبار شاق مرير اختبار الرضا والتسليم لأمر الله، فشق عليه هواه فعبد ذاته فهوى .

ونجد كاسونا قد اختزل كل هذا التاريخ والمعاناة في خبره الذي تمم به عنوانه " الشيطان مرة أخرى " مرشدا لنا أنها لعبة أزلية لن تتوقف كتعاقب الليل والنهار وكجريان السنن الكونية فى هذا الكون، " مرة أخرى" تدل دلالات قاطعة أنه لا يكل ولا يمل في محاولاته إغواء الجنس البشري، مرة أخرى

وتليها مرات لا نهائية في المستقبل من الغواية، نكر مرة ونكر أخرى للشمول والعموم أي أنه سيقتحم حيواتنا بشتى الطرق والمسالك وسيصيب هدفه بكل وسيلة وحيلة، مرة أخرى مع شخوص أخرين بطرق مبتكرة أو تقليدية، لا يهمه الطريقة قدر ما ينظر إلى هدفه وهو إضلال بني البشر.

كاسونا كان أكثر من عبقري في اختيار عنوانه هذا فقد استحضر التراث الإنساني كله منذ خلق آدم – عليه السلام – وحتى نهاية الكون في لفظة شطن يتشيطن شيطانا من البعد والطرد من رحمة الله، وكأنه استحضر في لفظة واحدة أصل عنصره وهو النار التي لا يعوقها عائق عن السريان والتمدد اللهم إلا مياه الرحمة والتوبة والمغفرة، شيطان يتميز من الشر يلتهب بالحقد والكراهية لا تخمد نيران نفسه الأمارة بالسوء، مرات ومرات من نشر آثامه بين الخلق، مرة أخرى كانت العقدة والحل والنهاية في العنوان ولك أن تتخيل جميع أنواع الهزائم والخيابات التي منيت بها في حياتك بسبب هذا الرجيم ونزغاته، مرة أخرى من الدوران والتيه والعبث مع شيطان يغوي ونفس تضل وجسد ينفذ وآثام وخطايا ترتكب، ومع ذلك رب غفور ينتظر أوبتك ليعفو، مرة أخرى تدور الدائرة نفسها وأنت تعلم محصلتها ومآلها لكنك كعادتك البشرية تذل وتنسى وتركن للعدو وتأنس بالشيطان وتستعين به وهو يجرك من ناصيتك للهاوية، إن كاسونا قد استلهم هذا القدر من فهمه لتاريخ الشيطان فأتى به ليفضحه في مسرحيته وليحذرنا من غواياته لعلنا نثوب إلى رشدنا، فتارة هو في صورة عصرية يغوي الرأسماليين وأخرى في صورة كلاسيكية يدعي أنه يقدم الخير للطالب الأسباني ليظفر بالأميرة بل ويجعل من دم الشيطان قربانا لوصالها، لكنه الشيطان جبل على كل شر ومؤامرة بل إن شئت هو الشر المطلق في دنيانا، ينكث عهده ويفضح أمر الطالب بعدما فهم اللعبة وأنه لا يقتل بسلاح أبدا لأنه من المنذرين إلى يوم الوقت المعلوم كما أقته الله، لكن الطالب فهم هذا كله فخنقه في نفسه وانتصر عليه، فاستحق بحق المملكة كلها أن تبايعه ملكا فاهما لكيفية قتل مالا يمكن قتله – الشيطان – بقتله داخل النفس، الشيطان ينقلنا معه كاسونا لفكرة عميقة أنه لا يمكن الوثوق أو الركون إليه فيفضح أمره ويكشف مؤامرة من يخالف هواه ويقرع أجراس الكنائس في دلالة أن الشر الشيطاني لا حدود له وأنه سيتجسد في أي ناحية وأي مكان حتى في دور العبادة، الشيطان مرة أخرى كانت أكثر دقة وموضوعية من العنوان الثاني للمسرحية شر دون شر ذلك أن الكلمات الدلالية المفتاحية للمسرحية أتت أكلها وزيادة في ثلاثة ألفاظ حملت في طياتها عمل فني موازي للمسرحية وزيادة، جعلت من المتلقي مشاركا وباحثا وضحية ومقاوما للشيطان كل في موقعه .

وترى الباحثة أنه بالجمع بين العنوانين يتضح لنا أن كاسونا قد لعب على تفاوت درجات الشر الشيطاني صعودا وهبوطا في نفوس شخوصه في المسرحيتين . ففي مسرحية "مركب بلا صياد" دارت فكرته حول تصعيد وتضخيم قوى الشر في النفوس فأتى الشر الشيطاني مرادفا لفكرة أيقونة الشر البشرية إن جاز القول، أراد الشيطان من شياطين الإنس أن يضخموا من آثامهم في الدنيا فالعشيقة تخون وتبيع من تدعي حبه والتلميذ ينقلب على أستاذه ويسعى لإفلاسه والقضاء عليه، والعديل يقتل عديله من أجل لا شيء والبطل يقبل قتل من لا يعرف ليسترد نفوذه وسلطانه وأمواله وينتقم من كل من تخلوا عنه، والرأسمالية تبيع رجلها خوفا من أفول شمسه وتتحالف مع غريمه اللدود، شرور شتى لأشخاص غرباء باعوا أنفسهم للشيطان بلا ثمن فكان الشر التصاعدي فيها هو الطريق المنطقي لكل هؤلاء العبيد لغوايات الشيطان .

أما في مسرحية "الشيطان مرة أخرى" نجد كاسونا يتخذ من المسار الهابط للشر فكرة جهنمية لفكرته، وإن كان تغليفها بمظهر البطولة وقصة حب مستحيلة من المعميات عن الوصول لكنهها، نجد الشيطان يتطوع مختارا لمساعدة طبقة المهمشين في الحياة، هؤلاء الذين تاجر بأرواحهم منذ بداية الخليقة ويختار منهم طالبا طموحا ليعرقل مسيرته ويحرفه عن هدفه، ويقنعه بالمحال ويهيئ له الظروف للزواج من الأميرة، قدم لنا شرا إن جاز الوصف في المقدمة هادئا مبررا، لكنه رسم في الخلفية صورة نمطية رهيبة للشيطان وشره لم يتعمق فيها صورة الفقر والوباء والخراب الذي حل بالمملكة كلها من أجل التعمية على هدفه، لم يكن الشر في هذه المسرحية أقل من مثيله في مركب بلا صياد بل كان أضعافه بكثير، خراب وفقر ووباء ومملكة على شفا حروب من أجل إلهاء البسطاء المهمشين عن الحقيقة .

إن كاسونا يعتبر وبحق واعظا ورجل دين في ثوب كاتب مسرحي عبقري ذلك أن فكرة الشر والشيطان في أعماله هي محور أعماله، لكنه يلبسها أشكال وموضوعات تعمي على أهدافه لكنه أبدا يصل بنا في لحظة التنوير لحقيقة الحياة الباطلة أنها صراع لا ينتهي مع عدو لا يفتر أبدا إنك في خضم المعركة فخذ حذرك لأنك في أتون اللعبة مقاتلا رغم أنفك .

النتائج العامة للدراسة :

- استلهم كاسونا التراث الإسلامي في مسرحيته حيث كانت فكرة اللعن والطرد وتحدي الشيطان لله واتخاذ الإنسان مسرحا لهذا الصراع على الأرض هما من المحاور الرئيسة التي بنى عليها مسرحيته فأتى رسمه متماشيا مع هذا التراث وإن خالفه في رتوش بسيطة لا تؤثر على تكامل النظرة التراثية العامة للصراع.
- إليخاندرو كاسونا من الكتاب الذين هاموا في الخيال لكنهم عايشوا الواقع وبقوة من خلال مسرحياتهم بإعطائه شخوص مسرحيته تناغما مع الواقع فنجده يصور الأشرار في مسرحياته بصورة خيالية يجعلها بسيطة فطرية تجسد الخير، وهذا الخيال ممكن وحادث وليس من دروب المستحيل، فهو يتخيل مستقبل أفضل لشخصياته السيئة مستقبلا يمكن تحقيقه .
- عالج كاسونا قضايا عصره بطريقة التخيل، عن طريق إعطاء شخوص مسرحياته حياتين، حياة الواقع التي تعيشها الشخصية، وحياة الخيال الممكنة التي يتخيلها هو للشخصية، فالنفس الإنسانية أرض خصبة لتقبل الخواطر سواء كانت خيرة أو شريرة ولا تصدر هذه الخواطر إلا من أسباب ربما وسوس بها شيطان أو حجزه عنها ملك.
- استلهم كاسونا فكرتيه في مسرحية " مركب بلا صياد " و" الشيطان مرة أخرى " من الحكاية الألمانية الشعبية فاوست ذلك الطبيب الذي أبرم عقدا مع الشيطان والذي كان سببا في ضياعه ولكن قدم كاسونا طرحا جديدا للفاوستية بأنه يمكن للإنسان تمزيق عقده مع الشيطان ليخرج عن سطوته ويستعيد حياته ليبدأ من جديد.
- يعتمد الشيطان في نزغاته على أعمال البشر، فكلما كان الإنسان بعيدا عن الله – تعالى – منغمسا في معصيته كان الشيطان أكثر قربا منه متمثلا في شخصية ريكاردو وكريستيان في مسرحية مركب بلا صياد، أما في مسرحية الشيطان مرة أخرى تمثل في شخص الملك والمربي وحاشيته ورجال العصابات من الصعاليك وقطاع الطرق، وكلما كان الإنسان قريبا من ربه بالطاعات كان الشيطان منه أبعد والله الموفق للطائعين للتخلص من وساوس الشيطان مثل شخصية إستيلا والجده والعم ماركو والغائب الحاضر بيتر أندرسون في مسرحية مركب بلا صياد، وكذلك الطالب الأسباني وتحول الأميرة لجانب الخير في الشيطان مرة أخرى
- في مسرحية "مركب بلا صياد" استلهم كاسونا بعض الرموز والصور، فظهور الشيطان في حلة أنيقة دليل على أنه من الممكن أن يواكب الشر كل عصر وأن يظهر في كل وقت،

فالشر متجدد أما الحب فهو القوة الوحيدة التي تستطيع أن تجعل كل القوارب تخرج للبحر حتى لا تبقى بلا صياد .

- شكل الشيطان في مسرحية "الشيطان مرة أخرى" ارتبط وبقوة بالمحافظة على الشكل القديم لما له في ذهن المتلقي لتلك الصورة من بالغ الأثر في استدعاء ما للرمز من تأثير في تنمية الصراع في المسرحية، إلا أنه أضاف إلى الصورة التراثية روحا عصرية تماشت مع الشكل التقليدي ليعطي لها حيوية وأثر في التفاعل في تنمية الصراع وإبرازه.
- ظهرت فكرة النزغات الشيطانية وبقوة محورا رئيسا في المسرحيتين، حيث أتخذهما كاسونا منطلقا لتجلية الصراع في المسرحيتين، والحق أنه عمل بطريقتين عكسيتين في مسرحيتيه، فمركب بلا صياد عمد فيها لتصعيد الشر وأثره على الناس بأن يحول أتباعه لشياطين في صورة آدمية يرتكبون كل الآثام والشرور، ويدفعهم إلى الهاوية بارتكاب جريمة القتل بكافة صورة المباشرة والمرضي عنه لا لشيء اللهم إلا المحافظة على النفوذ والقوة أما في الشيطان مرة أخرى قدم فكرة تقديم الخير الشيطاني الذي يعمي به على جرائمه التي يرتكبها في حق الجميع، فكرة فلسفية لتفاوت درجات الشر من منظور شيطاني بشكل تنازلي ليقدم خدمة للطالب بزواجه من الأميرة على حساب فناء ودمار المملكة.
- اعتمد الكاتب في تجسيد صورة الشيطان في المسرحيتين على نوعين من النزغات هما النزغات المباشرة و هي التي تتسق فيها إرادة الإنسان وهواه مع وسوسة الشيطان فيأتي عملا منكرا يجر الشر عليه وعلى من كاده وقصده بالشره فتخرج لنا في صورة جرائم حسية منكرة تروع الناس من هولها، أما النزغات الغير مباشرة فتتسق فيها أهواء ورغبات النفس الشريرة مع نزغات الشيطان في هدف واحد وهو إلحاق الأذى بالغير لكن النفس الشريرة هذه لعجزها عن الإتيان بفعل يهدأ نارها تكتفي بأن تضمر الشر والكراهية لمن تكرهه .
- ارتكز كاسونا في رسمه لمظاهر النزغات الشيطانية في مسرحيتيه على تجلية كثير من مسالب النفس الإنسانية لتلبسها بعدة جرائم متمثلة في سفك الدماء بغير حق وشهوة الملك والخلود وفتنة النفس بالمال والغضب والعصبية الباطلة والكبر والغرور وكذلك غواية المرأة والصحبة السيئة .
- إن كاسونا قد استلهم القيم الإيمانية ببراعة فائقة في مسرحيتيه فخرجا عملا فنيا أمتاز بدقة فنية مع تصور شمولي إيماني للحياة، فكل القيم التي قدمها تنبثق إلى حد كبير عن العالم خرجت من التصور الإسلامي للحياة، ومن أهم هذه القيم التي جلاها لنا قيم الحب والعفو

والمسامحة والعفة وهم المحاور التي من أجلهم أنشأ مسرحيتيه ليؤكد أن القيم الإيمانية هم دعائم الحياة مسرح كاسونا قائم على رفض كل القيم السلبية كالحقد والحسد والنفاق، فالحب دائما ممكن في مسرحة فلا هو شهوانيا على طريقة مسرح إنكلان ولا تراجيديا على طريقة جارثيا لوركا، فهو مؤلف مؤمن بالقيم الإيمانية والخير في حياة الإنسان يشع تفاؤل بحتمية الخير الذي يهدي للسعادة .

- إن جوهر الفكر المسرحي عند كاسونا ينبع من احتقار الحضارات الغربية الزائفة التي مسخت بماديتها وشرورها هوية وروح الإنسان فطمست قيم الخير والحق والجمال في الحياة، فقدم في مسرحياته نماذج مشوهة تلطخت بزيف المادية وشرورها وإن كانت أثرت ثراءا فاحشا إلا أنها فقدت الإيمان والرحمة والتعاطف مع الأخرين، فاتخذ من الصراع الداخلي بين الحضارات والقيم مرتكزا لتجلية هذا الصراع .
- عمد كاسونا من خلال مسرحيته ليبرز لنا حبه للطبيعة وتعاطفه معها وإعجابه العميق بتدفقها الأبدي إلى حد التصوف والذوبان في حب الله، من خلال الحوار مع شخوصه نجده بخفة ومهارة يبعث في نفوسنا ووجداننا حبا أعمق للجمال الذي غفلنا عنه بإغراقنا في ماديتنا واستجابة أشد تركيز لنداءات الطبيعة التي تتحد مع المنظور الإسلامي للجمال الذي جوهرة أن الله جميل يحب الجمال .
- لقد نال العنوان أهمية كبرى في مسرح كاسونا ذلك أنه لا مدخل للنص إلا من عنوانه ولا فهم للعنوان إلا من خلال النص، فأتت عناوين كاسونا بلغة مكثفة صورت في ذهن القارئ تساؤلات عدة تبحث عن إجابات في النصين، ومن هنا فالعنوان بذلك عتبة رئيسة اتخذها كاسونا مرشدا للقارئ لفهم النصين.
- في مسرحية "الشيطان مرة أخرى " نجد النص مقتصد من حيث مشاهده وحواراته ومن حيث الزمن الذي حوى ثلاثة أوقات تباعا هي الغروب والليل وصباح اليوم الجديد، وختمه بما لا يشير لنية الملك لتسليم عرشه للبطل العاشق الذي خلصه من الشيطان وأنقذ المملكة والأميرة كما وعد، وفي المقابل ليس هناك رفض واضح من الملك لهذه النهاية ليترك كاسونا نصه مفتوحا على احتمالات شتى وهذه عادة درج عليها كثير من كتاب الغرب ،على العكس في مسرحية مركب بلا صياد فقد صاغ النهاية في قالب مغلق ونتائج منطقية لثورته وفهم بطله لنزغات الشيطان وانتصاره على نفسه ثم شيطانه بفعل الحب وهو النوع من النتائج التي تريح

عقل المتلقي وتسكن نفسه وتبعث فيها الطمأنينة والسلام، وكأنها رسالة للمتلقي أن يتمسك بالخير والحب وهما كفيلان بطرد الشر ونزغاته من حيواتهم .

قائمة المصادر والمراجع .

أولا المصادر

القرآن الكريم

- الكتاب المقدس (العهدين القديم والحديث)
- إليخاندرو كاسونا (٢٠١٩). مركب بلا صياد، ترجمة محمود على مكي، روائع المسرح العالمي ،القاهرة، الهيئة العامة لقصور الثقافة .
- إليخاندرو كاسونا (١٩٩٩). الشيطان مرة أخرى، ترجمة علي إبراهيم أشقر، مسرحيات عالمية، دمشق، منشورات وزارة الثقافة .

ثانيا المراجع:-

- أبو العباس أحمد القرافي(١٩٩٨). الفروق أو أنوار البروق في أنواء الفروق، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ،ج١.
- أبو الفداء الحافظ ابن كثير(١٩٨٨) . النهاية في الفتن والملاحم، تحقيق عبد الغني الشافعي، دار الكتب العلمية، لبنان /، بيروت، الطبعة الاولى، ج ١.
- أبو بكر محمد البخاري(١٩٩٩) . بحر الفوائد، تحقيق محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ،الطبعة الأولى، ج ١ .
- أبو زكريا النووي(١٩٨٤) .شرح الأربعين النووية، دار الفتح، دمشق، ج ١، ط٤.
- أبو هلال العسكري (١٤١٢). الفروق اللغوية، تحقيق مؤسسة النشر الإسلامي، قم المشرفة، ط١ .
- أبي منصور بن محمد الثعالبي(ب.ت). ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ،القاهرة ،دار المعارف ،ج ١ .
- أحمد إبراهيم الشريف(٢٠١٥) . صورة الشيطان في الأدب مظلوم مضطهد في الغرب، متاح على موقع https://www.youm7.com/story/2015/11/26
- أحمد بن حنبل (ب.ت). مسند أحمد بن حنبل ، مؤسسة قرطبة، مصر، ج ٣ .
- أحمد بن محمد النحاس(١٤٠٨هـ) . الناسخ والمنسوخ، تحقيق د. محمد عبد السلام، مكتبة الفلاح، الكويت، ١٤٠٨، الطبعة الأولى، ، ج ١.

- أحمد حامد(٢٠٢١) . اليخاندرو كاسونا الهائم بالعقل، متاح على موقع https://www.mofrad.org/2021/01/kasona.html
- أحمد خضرة (٢٠١٩). قراءة في النقد المسرحي الإسلامي عند عماد الدين خليل، مجلة علوم اللغة وآدابها ،جامعة الأمير عبدالقادرقسنطينة، لجزائر، المجلد ١١، العدد ٢ .
- أحمد شمس الدين الحجاجي (١٩٨٤). الأسطورة في المسرح المصري المعاصر، القاهرة، دار المعارف .
- أسيا زيتون(٢٠١٥) . سيميائية النص المسرحي العربي مسرحية الملك هو الملك لسعد الله ونوس نموذجا، كلية الآداب واللغات –جامعة العربي بن مهيدي.
- الخليل بن أحمد الفراهيدي(١٩٩٥) . كتاب العين، دار ومكتبة الهلال، تحقيق د. إبراهيم السامرائي، ج ٦ .
- الراغب الأصفهاني(١٤٠٤هـ) . مفردات غريب القرآن، دفتر نشر الكتاب، ط٢
- المنجي بن عمر(٢٠١٤) . تجليات رمز الشر في الخطاب الروائي العربي، عزازيل ليوسف زيدان نموذجا، ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالقيروان، مجلة جيل للدراسات الأدبية والفكرية، العدد الثاني .
- إليخاندرو كاسونا (١٩٩٩). من المسرح الأسباني الواقع والخيال ودراما الحرب الأهلية، ترجمة زيدان عبدالحميد، المشروع القومي للترجمة، المجلس الأعلى للثقافة، المطابع الأميرية .
- باسمة درمش (٢٠٠٧). عتبات النص، مجلة علامات في النقد، ج٦١ .
- حمود السليم (١٤٣١). خطوات الشيطان، دار القاسم، الكتيبات الإسلامية، ج١ .
- حمودة بن العربي(٢٠١٠) . سيميائية العنوان في مسرحية مسافر ليل لصلاح عبد الصبور، الحوار المتمدن، متاح على موقع https://www.ahewar.org/debat/show.art.asp
- حميدة صابر الأعرجي(٢٠١٨) . أفعال الشيطان في النص القرآن دراسة استقرائية تفسيرية، جامعة الكفيل، النجف الأشرف، مسابقة ابن عقيل، للإبداع الفكري السابعة
- صلاح فضل(٢٠٠٣) . النظرية البنائية في النقد الأدبي ،القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب .
- عامر سلامة فلاح(٢٠١٦) . الشيطان في التوراة والإنجيل والقرآن، مجلة المدار للبحوث والدراسات، مجلد ٢٢، العدد ٤ .

- عبدالرحمن السيوطي(١٩٩٦) . الديباج على مسلم، تحقيق أبو إسحاق الحويني، دار ابن عفان، الخبر،السعودية، ج ٤ .
- على إبراهيم الأشقر(١٩٩٩) . نبذة عن حيات إليخاندرو كاسونا، مسرحيات عالمية، دمشق، وزارة الثقافة.
- علي بن أبي بكر الهيثمي(١٤٠٧). مجمع الزوائد ،دار الريان للتراث،دار الكتاب العربي، القاهرة، بيروت، ج ٨ .
- علي بن برهان الدين الحلبي (١٤٠٠). السيرة الحلبية في سيرة الأمين المأمون ،دار المعرفة، بيروت، ، ج ٢ .
- علي خليفة (٢٠٢٠). الشيطان في صور أدبية وفنية، دار الوفاء، الأسكندرية .
- علي رضا حسيني (٢٠٢٠). رمزية الشيطان في شعر بدر شاكر السياب، قصيدة اللعنات، مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، مجلد ١٠، العدد ١ .
- عماد الدين خليل (١٩٨٣). في النقد الإسلامي المعاصر، مؤسسة الرسالة، ط٣ .
- فخر الدين الرازي (٢٠٠٠). التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، دار الكتب العلمية – بيروت، ، الطبعة : الأولى ،ج ١٥.
- محمد بن إسحاق الفاكهي(١٤١٤). أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق د. عبد الملك دهيش، دار خضر، بيروت،، الطبعة الثانية، ، ج ٤ .
- محمد بن إسماعيل البخاري(١٩٨٧) . صحيح البخاري، تحقيق مصطفى البغا ،دار ابن كثير، اليمامة، بيروت، الطبعة الثالثة، ، ج ٥.
- محمد بن منظور(ب.ت) . لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط١، ج ٨ .
- محمد دياب الإتليدي (٢٠٠٤). إعلام الناس بما وقع للبرامكة مع بني العباس، تحقيق محمد سالم ،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ج ١.
- محمد عثمان صالح (٢٠١١). القيم الإيمانية وأثرها في أمن المجتمع بالتركيز على قيمة الحياء، مجلة المنبر، هيئة علماء السودان ،العدد ١٦ .
- محمد يونس(٢٠٢١) . فلسفة اليخاندرو كاسونا، تأزم الحياة وتصاعد الشعور بالموت، مركب بلا صياد نموذجا، مجلة الزوراء، العراق، متاح على موقع https://alzawraapaper.com/content.php?id=275712
- محيي الدين بن الطائي(١٩٩٨) . الفتوحات المكية، دار إحياء التراث العربي، لبنان، الطبعة الأولى، ج ٢ .

- مسلم بن الحجاج النيسابوري(ب.ت) . صحيح مسلم، تحقيق محمد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ج ٤ .
- معجب العدواني(٢٠٠٢). تشكيل المكان وظلال العتبات، ع ١٣٢، إصدارات النادي الأدبي الثقافي، المملكة العربية السعودية .
- معمر بن راشد الأزدي(١٤٠٣). الجامع، تحقيق حبيب الأعظمي ،المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، (منشور كملحق بكتاب المصنف للصنعاني ج١٠)، ج ١١ .
- ناصر ونوس (٢٠١٨). في مهب الرقابة، العرض المسرحي في سوريا١٩٨٨–١٩٩٧، مركب بلا صياد واللغة المسرحية ،الناشر e-kutubltd، أنجلترا، لندن، ط١ .
- وائل بشير(٢٠٠٥) . الشيطان خطواته وغاياته دراسة قرآنية موضوعية، رسالة ماجيستير، الجامعة الإسلامية، كلية أصول الدين، غزة .
  - Ouregy (٢٠١٠).الشيطان في الإسلام والمسيحية واليهودية : متاح على موقع https://kenanaonline.com/users/ouregy/posts/105713
  - Warbletoncouncil-(٢٠١٩): – اليخاندروكاسونا السيرة الذاتية والأساليب والأعمال : متاح على موقع https://ar.warbletoncouncil.org/alejandro-casona-7392